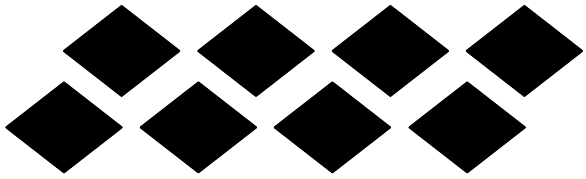

مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

أدبُ الإجازات في مصر العُثمانية
"إجَازةُ العلامة محمَّد مُرْتضَى الزَّبيدي للسُّلطَانِ العُثْماني عَبدِ الحَميدِ الأوَّلِ – أنموذجاً"
تَحْقِيقٌ ودِرَاسَةٌ

د. محمد فتحي الأعصر

مدرس الدراسات الأدبية

في كلية التربية، جامعة ٦ أكتوبر

ملخص البحث:

سعى هذا البحث إلى محاولة إلقاء الضوء على أدب الإجازات في مصر العُثمانية مباشرة وتطوره، وأبرز التغيرات التي طرأت عليه، وبيان أهميته ودوره في الحضارة الإسلامية؛ متخذًا من مخطوطة "إجازة العلامة الزَّبيدي (ت ١٢٠٥/ ١٧٩٠م) للسُّلطان العثماني أبي الفتح عبدالحميد خان الأوَّل (ت ١٢٠٣/ ١٧٨٩م) أنموذجًا" لهذا المسعى، من خلال تحقيق هذا النَّص ودراسته دراسة تحليلية. وبيان أثر العصر على أسلوب الزَّبيدي ولغته.

وألقيتُ الضَّوء على نُبذة مختصرة من حياة الزَّبيدي عالمًا وأديبًا. وأبنتُ عن حياة السُّلطان العثماني عبدالحميد الأوَّل وجهوده وأبرز الأحداث الحاصلة في عصره بشيء من الاختصار.

واعتمدتُ في بحثي على منهجين. أولهما: المنهج العلمي المتبع في تحقيق المخطوطات الأدبية. والآخر: هو المنهج التَّحليلي في دراسة أدب الإجازات في العصر العثماني بصفة عامة، وإجازة الزَّبيدي بصفة خاصة والوقوف على خصائصها.

وجاء البحثُ في (مقدمة، وتمهيد، وستة محاور). واشتملت المقدمة على (أهمية الموضوع وقيمته، وإشكالية البحث، وحدوده، وأهدافه، ومنهجيته، وخطة البحث، والكلمات المفتاحية).

واشتمل التَّمهيد على مبحثين: أولهما: الزَّبيدي (حياته ونشأته). والآخر: نُبذةٌ من حَياةِ السُّلطان العثماني أبي الفتْحِ عبدِ الحمِيدِ خَان الأوَّل.

أما المحاور؛ فتناولتُ فيها ستة محاور. أولًا: الإجازة وتطورها الفني. ثانيًا: إجازة الزَّبيدي (بنيتها وأسلوبها). ثالثًا: النُّسخةُ المَخْطُوطة التي اعتمدتُ عليها. ورابعًا: منهجي في تحقيق النَّص. خامسًا: نماذج من لوحات المخطوط. وأخيرًا: النصُّ محققًا. ثم ختمتُ البحث بثبت المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها فيه.

الكلمات المفتاحية:

أدب الإجازات، النثر، مصر العثمانية، مرتضى الزَّبيدي، السلطان عبدالحميد الأوَّل.

Abstract:

This research sought to shed light on the history literature of the Ottoman era, its development and its most prominent changes, and its significance and role in Islamic civilization. (1205/1790 AD) of the Ottoman Sultan Abi al-Fath Abdul Hamid Khan I (T 1203/1789 AD) as a model for this endeavor, through the realization of this text and study of an analytical study, and an indication of the impact of the era on the style and language of Zubaidi.

A brief account of Zubaidi's life was highlighted by a scientist and a writer. And I spoke about the life of the Ottoman Sultan Abdul Hamid I and his efforts and the most prominent events in his time with a shortcut.

In my research, I adopted two approaches. The first is the scientific approach to the achievement of literary manuscripts. The other is the analytical approach in the study of the leaves literature in the Ottoman era in general, and the Zubaidi's leave in particular and its characteristics.

The research came in (introduction, preface, and six axes). The introduction included (the importance of the subject and its value, the problem of research, the limits of research, its objectives, research methodology, the reasons for the realization of the text, study and publication, research plan and key words).

The introduction included two topics: first: Zubaidi (life and growth). And the other: a biography of the Ottoman Sultan Abi Fath Abdulhamid Khan I.

The axes dealt with six axes. First: leave and technical development. Second: Zubaidi's leave (structure and style). And thirdly: the manuscript version on which it was based. Fourth: Methodical in achieving the text. Fifth: the models of the manuscript plates. Finally, the text is correct. The research was then concluded with the sources and references on which it was based.

key words:

Literature of leaves, Prose, Ottoman Egypt, Murtada Zubaidi.

المقدمة

في هذه المقدمة سأقف قليلًا عند ما يلي:

١. أهمية هذا النَّوع الأدبي وقيمته:

يُعدُّ فنُّ الإجَازة وثيقةً أدبيةً وتاريخيةً مُهمةً – في تراثنا العربي والإسلامي – لا يمكنُ إنكارُها أو إجحادُ دَورِها–رغمَ قِلَّة العناية والاهتمام بها؛ فهي وسيلةٌ أدبيةٌ مهمةٌ لما تُثريهِ–بدوْرها–في الحياة الأدبيَّةِ من حَراكٍ أدبي وفكري، وبما تتضمَّنه من قطعٍ أدبيةٍ تُبرزُ خصائصَ العصرِ وثقافته، وتُوقِفُ القارِئَ على اللُّغةِ المستخدمةِ آنذاك، وطبيعةِ الحياة الاجتِماعيَّةِ السائدةِ.

وقيمة هذه الإجازة تتمثَّلُ في أنها للزَّبيدي المُجيز، وأن المُجاز هو السُّلطان العثماني عبدالحميد الأوَّل (ت١٢٠٣هـ/ ١٧٨٩م)، وهو ما يوقفنا على جانب حضاري تاريخي في حياة السَّلاطين، ولا سيما أولو العلم منهم كعبد الملك بن مروان والمأمون وابن المعتز، وغيرهم.

وقيمته كذلك تتمثل في بيان ما أُجيز به الزَّبيدي نفسه من مشايخه من أحاديث وكتب، وما أجاز به السلطان عبد الحميد الأول من كُتب. وهو جانب آخر من جوانب التأليف الذي تذخر به الحركة العلمية في الحضارة الإسلامية. كما أنَّ الإجازة تعد نوعًا من طرق نقل العلم ووثاقته.

ويرجع أحمد قدري أهمية الإجازات العلمية في حضارتنا الإسلامية إلى كونها «أثبتَتْ مبلغَ ما وصلتْ إليه الحضارة الإسلامية، وخاصةً في مصْر طُوال العصورِ الوسطى وحتى أوائل العصْر الحديث...من تقدّم في جميعِ مجالات العُلومِ، والفُنون العقليَّةِ والنَّقليةِ على حَدٍّ سواء»[1].

وغير ذلك من خصائص يمكنُ أن نقفَ عليها من خِلال بحْثِنا ودراستِنا لهذا النَّص بما يكشفُ لنا عن حجم الافتراءاتِ التي وُجِّهت لحقبة الحكم العثماني، تلك الحِقبة

---

[1] الإجازات والتوقيعات المخطوطة في العلوم النقلية والعقلية من القرن 4هـ/10م إلى 10هـ/16م: نشر وتحقيق: د. أحمد رمضان أحمد، تقديم د. أحمد قدري، المجلس الأعلى للآثار، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية – مشروع المئة كتاب، القاهرة، سنة 1986م، المقدمة.

التي تحتاج منَّا توجيه مزيدٍ من الدِّراسات والبَحْثِ والتَّحقيق للكشف عن إيجابيات ذلك العصر، ودفع الافتراءات التي وجِّهت إليه.

٢. إشكالية البحث:

تدور حول أدب الإجازات في العصر العثماني وأهميته من خلال تحقيق مخطوطة "إجازة العلامة مرتضى الزَّبيدي للسُّلطان العثماني عبدالحميد الأول" ودراستها وتحليلها. ومعرفة أثر العصر في أسلوب الزَّبيدي ولغته.

٣. حدود البحث:

يتناول هذا البحث أدب الإجازات في العصر العثماني بصفة عامة، وإجازة الزَّبيدي بصفة خاصة: بداية من القرن الثاني عشر الهجري إلى مطلع القرن الثالث عشر الهجري وهي فترة حياة العلامة مترضى الزَّبيدي وحكم السُّلطان العثماني عبدالحميد الأوَّل.

٤. أهداف البحث:

١. تحقيق إجازة الزَّبيدي ودراستها ومعرفة خصائصها وأهميتها.
٢. معرفة خصائص إجازات الزَّبيدي ومضامينها.
٣. اكتشاف الخصائص العامة لأدب الإجازات العربية في العصر العثماني.

٥. منهجية البحث:

يقوم هذا البحث على منهجين، أولهما: المنهج العلمي المتبع في تحقيق المخطوطات الأدبية. والآخر: المنهج التحليلي في تحليل ودراسة أدب الإجازات في العصر العثماني بصفة عامة، وإجازة الزَّبيدي بصفة خاصة والوقوف على خصائصها.

٦. خطة البحث: تكوَّنت خطَّة البحث من (مقدمة، وتمهيد، وستة محاور).

وقد احتوى التَّمهيد على مبحثين: أولهما: الزَّبيدي (حياته ونشأته). والآخر: نُبذةٌ من حَياةِ السُّلطان العثماني أبي الفتْحِ عبدِ الحميدِ خَان الأوَّل.

أمَّا محاور البحث؛ فهي ستة. أولًا: الإجازة وتطورها الفني. ثانيًا: إجازة الزَّبيدي (بنيتها وأسلوبها). ثالثًا: النُّسخةُ المَخْطُوطة التي اعتمدتُ عليها. رابعًا: منهجي في

تحقيق النَّص. خامسًا: نماذج من لوحات المخطوط. وأخيرًا: النصُّ محققًا. ثم ختمتُ البحثَ بثبت المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها فيه.

٧. <u>الكلمات المفتاحية</u>:

أدب الإجازات، مصر العثمانية، مرتضى الزَّبيدي، السُّلطان عبدالحميد الأوَّل.

وفي النهاية أرْجُو أنْ يكونَ عَمَلِي هذا خُطوةً على الطَّريق في إبانة كنُوز التُّراث العَربي المخْطُوط في العصْر العُثْماني.

والله من وراء القصد

د. محمد فتحي الأعصر

كلية التربية، جامعة ٦ أكتوبر

تمهيد:

يهدف هذا المدخل إلى محاولة التَّعرف على حياة العلامة اللغوي محمد مُرتضى الزَّبيدي ونشأته وأخباره ونتاجه. وإلقاء الضَّوء حول مسيرة السُّلطان العُثماني عبدالحميد الأوَّل وأبرز الأحداث السياسية في عصره. وهو ما يتضح فيما يلي:

١. الزَّبيدي (المتوفَّى ١٢٠٥هـ /١٧٩٠م) حياته ونشأته.

اسمه وشهرته:

هو السَّيد محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن عَبْد الرَّزاق الحسيني الحنفي، الشَّهير بالمرتضى[٢]، والمعروف بالزَّبيدي – الذي يتَّصل نسبه بالإمام الحسين بن علي (رضي الله عنهم أجمعين) ــ إمام أهل اللّغة قاطبة في العصر العثماني، ومن أدبائها العظام – رغم قلة ما وصلنا من أشعاره – فلم يكن هناك أعظم منه اطِّلاعًا ورواية وشهرةً.

وقد نعته تلميذه الجبرتي بكثير من الخصال؛ فهو العلَم الموصوف، العمدة الفهَّامة، الرُّحلة النَّسابة، الفقيه المحدث اللّغوي النَّحوي الأصولي النَّاظم النَّاثر[٣] خاتمة الحفَّاظ.

---

[٢] انظر في ترجمته عجائب الآثار: الجبرتي، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، سنة ١٩٩٨م، ٢: ٣٠٣ –٣٣١؛ حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرازق البيطار ، تحقيق: محمد بهجت البيطار، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م، ٣ : ١٤٩٣ – ١٥١٦؛ تاج العروس: الزَّبيدي ، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، سنة ١٩٦٥م، (مقدمة التحقيق للدكتور عبد الستار فراج، التي استفدت منها كثيرًا)؛ أبجد العلوم: القنوجي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ٣ : ١٢– ٢٨؛ الخطط التوفيقية: علي مبارك طبعة بولاق، مصر، ١٣٠٥هـ، ٣ : ٩٤ – ٩٦؛ تاريخ آداب اللغة العربية: جورجي زيدان، مراجعة وتعليق: شوقي ضيف، دار الهلال، مصر، د.ت، ٣: ٣١٠ –٣١١؛ فهرس الفهارس: عبد الحي الكتاني، باعتناء: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م، ١: ٥٢٦ – ٥٤٣؛ تاريخ الأدب العربي: بروكلمان، ترجمة: عمر صابر عبد الجليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٩٥م، ٨: ٦٢ – ٦٤؛ الأعلام: الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، سنة ٢٠٠٢م، ٧: ٧٠؛ النور الأبهر في طبقات الجامع الأزهر: محيي الدين الطعمي، دار الجيل، بيروت، ط١، سنة ١٩٩٢م، ١٢٧ – ١٢٨.

[٣] انظر: عجائب الآثار ٢: ٣٠٣.

مولده ونشأته:

ولدَ الزَّبيدي سنة خمس وأربعين ومئة وألف من الهجرة النبويَّة ١١٤٥هـ/ ١٧٣٢م، كما أورد ذلك الجبرتي في تاريخه. ولم يحدّثنا الزَّبيدي عن البلد التي ولد بها، إلاَّ أن أصله من واسطَ؛ بلدة من أعمال العراق. وكان مولده بالهند في بلدة بلجرام – وهي إحدى ولايات الهند التي أدَّتْ دورًا مهمًّا في تاريخ الثَّقافة الإسلامية – ونشأ باليمن[٤].

رحلاته العلْميَّة:

أشار الزبيدي في مؤلفاته إلى رحلاته وأسفاره في حياته، والمصادر التي ترجمت له – أيضًا – تطرقت إلى حياته عامة ورحلاته العلمية خاصة في طَلَبِ العِلم، والزبيدي تتلمذ على يدِ كِبَار شُيوخ عَصْره في أنْحَاء العَالم الإسلامي كافة. فقد ذكر المؤرخون أنَّه اشتغل على المحدِّث محمد فاخر بن يحيى الإلهابادي، والشاه ولي الله الدّهلوي، فسمع عليه الحديث وأجازه. ثم ارتحل لطلب العلم فدخل زَبيد، وأقام بها مدة طويلة حتى قيل له الزَّبيدي.

وبعد ذلك ارتحل الزَّبيدي إلى مصر وغيرها من البلدان طالبًا العلم، ومحصلًا له على يد شيوخ عصره، وفي ذلك يقول تلميذه الجبرتي: «ارتحل في طلب العلم وحجَّ مرارًا، واجتمع بالشيخ عبد الله السِّنْدي، والشيخ عمر بن أحمد بن عَقيل المكي، وعبد الله السَّقاف، والمسنِد محمد بن علاء الدين المزجاجي، وسليمان بن يحيى، وابن الطيب.

واجتمع بالسيد عبد الرحمن العَيْدَروس بمكة، وبالشيخ عبد الله ميرغني الطائفي في سنة ثلاث وستين. ونزل بالطائف بعد ذهابه إلى اليمن ورجوعه في سنة ست وستين؛ فقرأ على الشَّيخ عبد الله في الفقه، وكثيرًا من مؤلفاته وأجازه.

وقرأ على الشَّيخ عبد الرحمن العَيْدَروس مختصر "السَّعد"، ولازَمه ملازمة كلية، وألبسه الخِرْقة وأجازه بمروياَّته ومسموعاته. قال: وهو الذي شوَّقني إلى دخول مصر بما وصفه لي من علمائها وأمرائها وأدبائها، وما فيها من المشاهد الكرام؛ فاشتاقت

---

[٤] للوقوف على تفاصيل أكثر حول حياته ونشأته وأخباره ورحلاته ومشايخه وتلاميذه وعلاقته بمعاصريه، ومؤلفاته التي تركها ينظر مقدمة تحقيق كتاب الزَّبيدي (المعجم المختص) بتحقيق/ محمد عدنان البخيت، ونوفان رجا السواريه، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ٢٠١٠م، ١: ٧.

نفسي لرؤياها وحضرت مع الرَّكب، وكان الذي كان. وقرأ عليه طرفًا من الإحياء وأجازه بمروياتِه.

ثم جاء إلى مصر في تاسع صفر سنة سبع وستين ومئةٍ وألفٍ، وسكن بخان الصَّاغة في حي من أحياء القاهرة آنذاك، وأول من عاشره، وأخذ عنه السيد علي المقدسي الحنفي من علماء مصر، وحضر دروس أشياخ الوقت كالشيخ أحمد الملَّوي والجوهري والحفني والبُلَيْدي والصَّعيدي والمدابغي وغيرهم، وتلقَّى عنهم، وأجازوه وشهدوا بعلمه وفضله وجودة حفظه.

ولم يكتفِ الزَّبيدي بما حصَّله من علمٍ؛ فجاب البلاد طالبًا المزيدَ، وسافر إلى الصعيد ثلاث مرات، واجتمع بأكابره وأعيانه وعلمائه، وأكرمه شيخُ العرب همامُ وإسماعيلُ أبو عبد الله وأبو علي وأولاده نصير وأولاد وافي وهادوه وبَرُّوه. وكذلك ارتحل إلى الجهات البحرية مثل دمياط ورشيد والمنصورة، وباقي البنادر العظيمة مرارًا حين كانت مزيَّنة بأهلها عامرة بأكابرها وأكرمه الجميع، واجتمع بأكابر النَّواحي، وأرباب العلم والسُّلوك وتلقَّى عنهم وأجازوه وأجازهم.

الزَّبيدي مُعلِّمًا:

طارت شُهرة الزَّبيدي في الآفاق، وأقبلَ عليه الخاص والعام من كلِّ حدبٍ وصوب، وذلك بعدما شرع في إملاء الحديث على طريق السَّلف في ذكر الأسانيد والرُّواة المخرِّجين من حفظه على طرق مختلفة. وكل من قدم عليه يملي عليه الحديث المسلسل بالأولية، وهو حديث الرحمة برُواتِه ومخرِّجيه ويكتب له سندًا بذلك وإجازة وسماع الحاضرين، فيعجبون من ذلك.

ووصلَت درجة شُهرته إلى أنَّ مُعظَم عُلماء الأزهر الشريف آنذاك سَعوا إلى حُضورِ دروسه والاستِماع إليه والإجازة منه. وزادَ من شُهرة الزَّبيدي أن تناقلَ في النَّاس سعي مشايخهم من عُلماء الأزهر مثل: الشَّيخ أحمد السُّجاعي، والشَّيخ مُصْطفى الطَّائي، والشَّيخ سُليمان الأكراشي وغيرهم، للأخذ عنه، فازداد شأنه وعظم قدره، واجتمع عليه العامة والأكابر والأعيان.

رثاء الذَّات قُبيل الوفاة:

ذكر تلميذه الجبرتي في «تاريخه» أنَّ مرض الطَّاعون قد زاد وانتشر انتشارًا فاحشًا في عام ١٢٠٥هجرية، ونال من العام والخاص؛ فأصيب الزَّبيدي به (أي بالطاعون) في شهر شعبان. وذلك بعد صلاة الجمعة في مسجد الكردي المواجه لداره، ودخل بيته واعتُقل لسانُه إلى أن توفِّي – بعدَ حياة حافلة بالجدِّ في تحصيل العلم والتَّدريس – يوم الأحد من شهر شعبان في سنة ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م.

وكان قد تزوج من امرأة أخرى غير زوجته الأولى زُبيدة ــ التي ماتت في حياته– لعله يرزق بالولد منها؛ ليرث ثروته وكتبه التي بلغت من كثرتها الشيء الكثير، فأخفت زوجته وأقاربها نبأ موته، وانشغلوا بنقل الأشياء النَّفيسة والمال والذَّخائر والأمتعة والكُتب المكَلفة، ثم أشاعوا موته يوم الاثنين. فشُيِّعت جنازته وصلَّوا عليه ودفن بقبر أعده لنفسه بجانب زوجته الأولى زُبيدة – التي رثاها رثاءً بليغًا ينبض بإحساس مرهف، يدلُّ على قوة شاعريته – بالمشهد المعروف بالسيدة رُقَيَّةَ.

ولم يعلم بموته أهل الأزهر؛ وذلك لانشغالهم بأمر الطَّاعون. ولهذا السبب لم يَرْثِه أحد من شعراء عصره أو تلاميذه.

ويُعتقد بأن الزَّبيدي قد رثى نفسه بمقطوعة شعرية قبل وفاته، فقد أورد محمد عدنان البخيت ونوفان رجا السواريه في مقدمة الجزء الأول من تحقيقهما لكتاب "المعجم المختص" لمرتضى الزبيدي أن ابن الزين المغربي قد ذكر أنه وجد على ظهر رسالة مقطوعة شعرية منسوبة للزبيدي يقول فيها:

ولم أجزع لهولِ الموتِ لكنْ بكيت لقلة الباكي عليَّا
وإنَّ الدَّهرَ لم يعرف مقامي ولا عرفتْ بَنُوهُ ما لديَّا
زمانٌ سوف أنشرُ فيه نشرًا إذا أنا بالحمام طُويتُ طيَّا
أُسَرُّ بأنني سأعيشُ ميْتًا به ويسوؤني إن متُّ حيَّا[٥]

[٥] ينظر مقدمة تحقيق المعجم المختص، ١: ٥٠؛ ولكن بالرجوع للمصادر التي أوردت هذه الأبيات وجدناها في كتاب (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب) لأحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق د. إحسان عباس، ٣: ص٢٢٩، منسوبة لأبي الفضل ابن شرف برواية مختلفة:

وترك مرتضى الزَّبيدي لنا الكثير من المؤلفات التي تخلِّد ذكره في الآفاق. وفي مقدمتها معجمه "تاج العروس من جواهر القاموس" الذي يعدُّ علامةً بارزةً في تاريخ التراث العربي والإسلامي على وجه العموم، وتاريخ التراث في العصر العثماني على وجه الخصوص. ويرد على كثير من الادعاءات التي تقول بأن العصر العثماني عقِم عن إنجاب العلماء والموسوعيين، أسوة ببقية العصور المنصرمة [٦].

<u>مؤلفات الزَّبيدي[٧]: له مؤلفات عدة، منها ما يلي:</u>

١. **إتحاف السَّادة المتقين في شرح إحياء علوم الدين. طبعته بدون تحقيق علمي مؤسسة التاريخ العربي ببيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.**
٢. **أسانيد مرتضى الزَّبيدي في رواية الكتب الستة الصحاح. مخطوط بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة رقم (٤٦)، ومصور عن نسختي دار الكتب المصرية ٢٤ مصطلح؛ ورقم (٤٧) عن دار الكتب المصرية ١٩٢ مصطلح.**
٣. **أمالي الزَّبيدي. في الأدب. مخطوط محفوظ بمكتبة برنستون، بالولايات المتحدة الأمريكية، رقم (٣٧٦١).**
٤. **بُلْغة الأريب في مصطلح آثار الحبيب. مخطوط بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة، رقم حفظه[١٦٦] ١٣١٦١.**

ولم أجزع لهول الموت لكن بكيتُ لقلّةِ الباكي عليّا
وأن الدهر لم يعلم مكاني ولا عرفتْ بَنُوهُ ما لديّا
زمانٌ سوف أنشر فيه نشرًا إذا أنا بالحمامِ طُويتُ طَيّا
أُسَرُّ بأنني سأعيشُ ميْتًا به ويسوءني أنْ متُّ حيّا

[٦] يقول جورج زيدان في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية ٣: ٢٩١ «أما الآداب العربية على الإجمال، فأصبح في أحط أدوارها، وندر نبوغ العلماء المفكرين أو المستنبطين فيها. وأكثر ما كتب في هذا العصر، إنما هو من قبيل الشروح والحواشي، والتعاليق، وشروح الشروح ونحوها». ومما لا شك فيه أن هذا الحكم هو خطأ بيِّن لتعميم الحكم على عصر بأكمله امتد لعدة قرون، هو جزء من تاريخ ثقافتنا وتراثنا المجيد.

[٧] استفدت في معرفة مؤلفات الزَّبيدي من كتب التراجم والتاريخ التي ترجمتْ له ولمؤلفاته، وكذا فهارس المخطوطات أمثال: عجائب الآثار ٢: ٣٠٣ –٣٢١؛ حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ٣: ١٤٩٣ –١٥١٦؛ فهرس الفهارس ١: ٥٢٦–٥٤٣؛ الأعلام ٧: ٧٠؛ تاريخ الأدب العربي ٨: ٦٢ –٦٤.

٥. تاج العروس من جواهر القاموس. طبعته وزارة الإرشاد والأنباء بدولة الكويت، بتحقيق نخبة من كبار العلماء، وقد بُدِأ في طباعته سنة١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م إلى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٦. تحفة القماعيل في مدح شيخ العرب إسماعيل. قمتُ بتحقيقها ونشرها في مجلة آفاق الثقافة والتراث – بمركز جمعه الماجد، بدبي، عدد ٧٩، سبتمبر ٢٠١٢م. وأعدت تحقيقها ونشرها اعتمادا على النسخة الأصل المكتوبة بخط المؤلف الزَّبيدي، وتلاشيا للأخطاء الطباعية التي وقعت في نشرت مركز جمعة الماجد؛ قمت بنشرها بمجلة مركز التُّراث والحضارة – بجامعة قناة السويس – العدد (٢)، مايو ٢٠١٤م.

٧. تحقيق الوسائل لمعرفة المكاتبات والرسائل. وهو عبارة عن مراسلاته وإنشاءاته كما هو واضح من عنوانه. مفقود ولم نعثر عليه.

٨. ترويح القلوب بذكر ملوك بني أيوب. طبع بتحقيق د. صلاح الدين المنجد، بيروت – دار الكتاب الجديد، ط٢، ١٩٨٣م.

٩. التعريف بضروري قواعد التصريف. في الصرف. مخطوط بمركز البحث العلمي وإحياء التُّراث الإسلامي بمكة المكرمة، رقم (٤٨). وهي نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية، رقم (٨ صرف تيمور).

١٠. حكمة الإشراق إلى كُتَّاب الآفاق. طبع بتحقيق محمد طلحة بلال، بالقاهرة بمطبعة المدني، ١٤١١هـ /١٩٩٠م.

١١. رفع نقاب الخفا عمن انتمى إلى وفا وأبي الوفا. مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق، رقم (٩٠٥٧).

١٢. العرائس المجلوة في ذكر أولياء فوه. مخطوط بمكتبة المصغرات الفيلمية بقسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. رقم (١/٦٤٨٩).

١٣. العقد المنْظَم في أمهات النبي ﷺ. مخطوط بمكتبة المخطوطات العربية بالقاهرة، رقم (١١٤٠) مصورة عن نسخة مكتبة الجامع الأحمدي بطنطا، رقم (٥ سير وتراجم)، ونسخة أخرى بمكتبة برنستون، رقم (٤٥٦٧).

١٤. عقود الجواهر المنيفة في أدلة مذهب أبي حنيفة. مخطوط بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة، رقم[٢٣٠] أباظة ٦٤٢٤، ونسخة بمكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة، بمجموعة حكمت رقم: ٤٥٢(٢٣٢/١٠٣)، ٤٥٣(٢٣٢/١٠٤)، والمحمودية رقم: ٤٣٩.
١٥. تحفة القماعيل في مدح شيخ العرب إسماعيل. قمتُ بتحقيقها ونشرها في مجلة آفاق الثقافة والتراث ــ بمركز جمعه الماجد، بدبي، عدد ٧٩، سبتمبر ٢٠١٢م.
١٦. لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة. مخطوط بمركز المخطوطات والتراث والوثائق بالكويت، رقم (١١٠-٦٤)؛ ونسخة بدار الكتب المصرية، رقم (١٤٢/١)؛ ونسخة بمكتبة برنستون، رقم (٤١٨٠).
١٧. المقاعد العندية في المشاهد النقشبندية. مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق، رقم (٤٩٥٨).
١٨. المعجم المختص. طبع ونشر بمركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية.
١٩. هديه الإخوان في شجرة الدخان. مخطوط بالمكتبة الأزهرية، رقم[٧٥٥] أباظة ٦٣٤٩.

٢. نُبذةٌ من حَياةِ السُّلطان أبي الفتْحِ عبد الحميد خَان الأوَّل[٨].

السُّلطان عبد الحميد الأوَّل أحد سلاطين الدَّولةِ العثمانية، وابن السلطان أحمد الثالث. كان مولده سنة ١١٣٧هـ/ ١٧٢٤م.

تولى الحكم عام ١١٨٧ هـ/ ١٧٧٣م، بعدما قضى مدة حكم أخيه مصطفى الثالث محجوزًا في سرايته كما جرت به العادة، وفي اليوم الثالث من توليته توجه في موكبٍ حافل إلى جامع أبي أيوب لتقلُّد سيف السُّلطان عثمان مؤسس الدولة العثمانيَّة، ولم يوزع

[٨] راجع في ترجمته وحالة الدولة العثمانية في عصره: تاريخ الدولة العلية العثمانيَّة: محمد فريد بك، تحقيق: د. إحسان حقِي، دار النفائس، ط١، بيروت، ١٩٨١م، ٣٤١-٣٦٢؛ الدولة العثمانية عوامل وأسباب السقوط: د. علي محمد الصلابي، دار التوزيع والنشر الإسلاميَّة، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م، ٣١٦-٣١٩؛ الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث: د. إسماعيل أحمد ياغي، مكتبة العبيكان، ط٢، السعودية، سنة ١٩٩٨م، ١٢٣.

على الجنود الإنعامات المعتادة لنضوب خزائن الدولة التي استنزفتها الحرب الأخيرة، ثم أقر الصدر الأعظم محسن زاده وأغلب كبار الموظفين والقواد البرية والبحرية في مناصبهم، لعدم وقوع الخلل في الأعمال.

وفي تلك الآونة استطاعت روسيا أن تحقق نصرًا على العثمانيين في مدينة فارنا في بلغاريا على البحر الأسود، وطلب الصدر الأعظم الصلح والمفاوضة، وتم ذلك في مدينة قينارجة في بلغاريا عام ١١٨٧هـ/١٧٧٤م، وأهم ما جاء فيها[٩]:

- إزالة العداوة بين الدولة العثمانية وروسيا وحلول الصلح، وصيانة الاتفاقات من التغيير والعفو عن الجرائم التي اقترفها رعايا الطرفين.
- عدم حماية الرعايا الملتجئين أو الفارين أو الخونة ضمن شروط.
- اعتراف الطرفين بحرية بلاد القرم بلا استثناء واستقلالها، ولهم الحرية التامة بانتخاب خان لهم دون تدخل ولا يؤدون ضريبة وباعتبارهم مسلمين؛ فإن أمورهم المذهبية تنظم من قبل السلطان بمقتضى الشريعة الإسلامية.
- سحب القوات العثمانية من القرم، وتسليم القلاع، وعدم إرسال جنود أو محافظ عسكري.
- حرية كل دولة في بناء القلاع والأبنية والتحصينات، وإصلاح ما يلزم منها.
- تعيين سفير روسي في الأستانة من الدرجة الثانية، والاعتذار له رسميًّا عما يحدث من خلل.
- تعهد الدولة العثمانية بصيانة الحقوق، والكنائس النصرانية في أراضيها، ومنح الرخصة من الخلل.
- حرية زيارة رهبان روسيا للقدس، والأماكن الأخرى التي تستحق الزيارة مرخص بها دون دفع جزية أو خراج، ويعطون التسهيلات والحماية أثناء ذلك.
- حرية الملاحة للروس في كافة الموانئ العثمانية في البحرين الأبيض المتوسط والأسود مضمونة. وكذلك حرية اتجار الرعايا الروس في البلاد العثمانية برًّا

---

[٩] ينظر في حالة الدولة العثمانية وأحوالها في عصر السلطان عبدالحميد الأول: تاريخ الدولة العلية العثمانيَّة: محمد فريد بك، ٣٤١-٣٦٢؛ الدولة العثمانية عوامل وأسباب السقوط: د. علي محمد الصلابي، ٣١٦-٣١٩؛ الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث: د. إسماعيل أحمد ياغي، ١٢٣.

وبحرًا مكفولة، وللتجار الروس حرية الاستيراد منها والتصدير إليها والإقامة فيها. ويحق لروسيا تعيين القناصل في كافة المواقع التي تراها مناسبة.

- **يجب على الدولة العثمانية التعهد ببذل جهدها في كفالة حكومات الولايات الأفريقية إذا ما رغب الروس بعقد معاهدات تجارية فيها....الخ.**

<u>يتضح لنا من خلال إمعان النظر في تلك الشُّروط ما يلي:</u>

- **إنهاء السيطرة العثمانية على البحر الأسود وتهيئة الأسس الدبلوماسية المقبلة للتدخل الروسي في القضايا العثمانية الداخلية.**
- **أصبحت بلاد القرم مستقلة ورعاياها لا يلحقون الدولة العثمانية إلا دينيًّا فقط.**
- **أصبح لروسيا حق بناء قناصل في أي مكان في الدولة العثمانية والملاحة الحرة في مياهها.**
- **ولم يكتف الروس بذلك، بل واصلوا تآمرهم، وفاجئوا الدولة العثمانية بدخول قواتهم بلاد القرم – وهي جزء من ولايات الدولة العثمانية – غير مبالين بالمعاهدات التي تمت بينهما.**

<u>وفاةُ السُّلطان عبدالحَميد الأوَّل</u>[١٠]:

بعد صراع طويل في إخماد الفتن ورد كيد الأعداء عن العالم العربي والإسلامي، تُوفّي السُّلطان عبد الحميد الأوَّل في وقتٍ كانت الحاجة إليه ماسة، نتيجة للتهديد الروسي، والتهديد النمساوي الذي يريد السيطرة على العالم الإسلامي؛ فكانت وفاته في ١٢ رجب سنة ١٢٠٣هـ/ الموافق ٨ أبريل سنة ١٧٨٩م، وله من العمر ستة وستون عامًا، وكانت مدة حكمه خمس عشرة سنة وثمانية أشهر.

والنظرة العامة لتلك الأحداث والحالة التي صارت إليها الدولة العثمانية، يشعر بالضعف الذي أصاب الدولة العثمانيَّة، والوهن الذي أصاب مؤسساتها، وسرى بين ولاياتها.

---

[١٠] لمعرفة تفاصيل أكثر ينظر: تاريخ الدولة العلية العثمانيَّة: محمد فريد بك، ٣٤١–٣٦٢؛ الدولة العثمانية عوامل وأسباب السقوط: د. علي محمد الصلابي، ٣١٦–٣١٩؛ الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث: د. إسماعيل أحمد ياغي، ١٢٣.

فالذل والخضوع الذي منيت به الدولة العثمانية نتيجة لضعف سلاطينها من جهة، ومن جهة أخرى انتشار الفساد في مناحي الحياة والتخلف الذي أصاب الشعوب العربية والإسلامية، كلُّ هذا أدى بلا شك إلى ضعف سيطرتها على ممتلكاتها، وانهيار الولايات التابعة لها نتيجةً لحالة التردي والاضمحلال الذي أصاب تلك الولايات في أواخر ذلك العصر، ورغم كل ذلك يكفي الدولة العثمانية – دولة الخلافة الإسلامية–شرفا أنها ظلت لأكثر من ثلاثة قرون تدافع عن الإسلام والمسلمين شرقا وغربا ووصلت فتوحاتها إلى أقصى أرجاء المعمورة، وكانت هي الملاذ الآمن والدرع الواقي للمسلمين والشعوب التي تخضع تحت سيطرتها ضد أي تهديد خارجي.

أولًا– الإجازة وتطورها الفني:

فن الإجازة من الفنون الضاربة في القدم بقدم تراثنا الإسلامي؛ فيعود تاريخ أول كتابة إجازة إلى عام ٢٧٦ هجرية، وتشير المصادر إلى أنها من أقدم الإجازات التي وصلتْ إلينا في العصر الحديث كتبها ابن أبي خيثمة الحافظ المؤرخ، يجيز بها تلميذه أبي زكريا يحيى بن مَسْلَمةَ [١١].

إذن فتاريخ كتابة الإجازة العلمية ليس وليد العصر العثماني أو ما سبقه من عصور؛ فإنه يرجع إلى القرن الثالث الهجري، ولكنَّه تطور وأخذ في الرواج والنضوج حتى صار فنًّا من فنون الرسائل الفنية.

والإجازة هي شهادة يعطيها أو يمنحها كبار شيوخ العلم ومَن في منزلتهم من الأدباء والعلماء، لمن يطلبها من تلاميذهم، أو من يتقدم إليه بطلبها[١٢].

ويقول محمد عبد الغني حسن عن أهميتها بالنسبة للتلاميذ: «وقد كان الشيوخ يكتبون لتلاميذهم ما يفيد بأنهم ــ أي التلاميذ ــ أتموا قراءة الكتاب عليهم، وبهذا يجيزونهم للتدريس والرواية عنهم»[١٣].

---

[١١] الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح: إبراهيم بن موسى بن أيوب الأبناسي (802 هـ)، تحقيق: صلاح فتحي هلل، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٩٩٨م، ١: ٣٠٢.

[١٢] ينظر صبح الأعشى: أبو العباس أحمد القلقشندي، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٩م، ١٤: ٣٢٢.

[١٣] المقَّري صاحب نفح الطيب: محمد عبد الغني حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة، سلسلة أعلام العرب، القاهرة، ١٩٦٦م، ٦٢.

وتعد الإجازات من الأهمية بمكان في حياة الطالب، «فهي تجيز له التصدُّر للفتوى، والتصدر للتدريس، أو إملاء الحديث، وروايته لطلابه أو رواية المؤلَّفات الأدبية التي ألَّفها المجِيز. وتُسوِّغُ له التوظُّف في إحدى وظائف العلم. ومنها يسلك طرقه إلى عليا المناصب في القضاء ونيابة الحكم والإمامة، فهي – على هذا – تفتح له باب العمل والكسب والجاه»[١٤].

وفي بعض الأحيان يسبق هذه الإجازة استدعاء أي استجازة من طالب الإجازة، والمقصود بالاستدعاء أو الاستجازة، «أن يسعى أديب إلى أديب آخر، يكون – غالبًا – أنضج منه أدبًا، وأرحب أفقًا، وأبعد شُهرةً، فيكتب إليه رسالة يضمنها طلبه منه أن يمنحه إجازة برواية آثاره الأدبية، ومصنفاته ومروياته، سواء أكانت شعرًا أم نثرًا»[١٥].

وكانت تلك الرسائل تكتب بأسلوب فني في غاية البراعة والقوة يستوحي فيها الخيال وروعة الأداء والبراعة في التَّصوير، متضمنة ميزات المجيز وخصاله وكثرة مؤلفاته وإجادته للعلوم، محاولاً في كل ذلك إضفاء نوعٍ من التَّعظيم لشخص المجيز وتمكُّنه من العلوم وتبحُّره فيه.

ويعرف د. محمود رزق سليم الإجازة قائلًا: «هي رسالة يرد بها المجيز «أو المستجاز والمستدعي» على طالب الإجازة «المستدعي» يجيب فيها طَلِبتَه ويحققُ رغبته، ويضفي عليه فيها آيات من الثناء، وبينات من الإطراء»[١٦]، فهي بذلك تعد مظهرًا من مظاهر النثر الفني في الأدب العربي.

وكانت الإجازات تمنح في العصور السَّابقة على العصر العثماني بشيء من الصُّعوبة بعد تدقيق وإمعان ونظر وكثرة مجالَسة الطالب وملازمته لأستاذه المجيز حتى يحفظ ما سمعه.

---

[١٤] انظر عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، في النثر الفني: د. محمود رزق سليم، مكتبة الآداب، القاهرة، سنة 1955م، المجلد الخامس 183.

[١٥] انظر المرجع السابق، المجلد الخامس 184.

[١٦] انظر المرجع السابق ، المجلد الخامس 194 ــ 195.

وعندما نصل إلى العصر العثماني نجدُ تساهلاً بصورةٍ كبيرةٍ في منح الإجازات العلمية، يقول محمد سيد كيلاني: «أما في العصر الذي ندرسه [أي العصر العثماني] فكانت تعطى جزافًا، إذ كان يكفي أن يقرأ الطالب أوائل كتاب أو كتابين مما يدرسه الأستاذ حتى ينال إجازة بجميع مروياته. وكثيرًا ما أعطيت لمن طلبوها من أهل البلاد القاصية عن طريق المراسلة – فكان العالم في القاهرة يبعث إلى طالبٍ في مكة بالإجازة دون أن يراه أو يختبره– فيبدو أنَّها اعتبروها فخرية»[١٧].

ويسيطر على رسائل الاستدعاء والإجازة في ذلك العصر المغالاة في الوصف وإبراز ميزات وفضائل المجيز أو المستدعي بنوع يخرج عن المألوف إلى المغالاة الممقوتة والمدح المرذول.

وإجازة مرتضى الزَّبيدي تعد من الإجازات الفخرية التي ترسل للملوك والسلاطين في الغالب، كما يحدث في أيامنا هذه، وقد أجاز فيها السُّلطان العثماني عبد الحميد الأول بحديث الرحمة، والكُتب السِّتة الصِّحَاح.

وقد تنوعت هذه الإجازة في لغتها وأسلوبها باتكائها على التراث وتوظيفه لخدمة الغرض من كتابتها، فقد حوتْ الاقتباس من القرآن الكريم، والاستشهاد بالأحاديث النبوية، والتَّضمين من عيون الشعِّر العربي، كما أنها حفلتْ بالاستدعاء لأعلام التُّراث، ممّن تركوا بصمات واضحة في حقول التراث العربي، وإلى جانب ذلك تمتعت بقوة أسلوبها وجزالة ألفاظها، وما تضمنته من صور فنية وبيانية غاية في الروعة والجمال.

فكتب الزَّبيدي إجازته بأسلوب يقوم على الإكثار من المحسنات البديعية والتكلف والمبالغة كغيره؛ لأنه المعيار الرئيس لتحديد رتبة الأدباء ومنزلتهم آنذاك في عصره. فكان هذا الأسلوب المشاع غاية أولئك الأدباء؛ لأنه كان محببا لأصحاب المقامات والرُّتب من السَّلاطين والأمراء والوزراء والقواد والعلماء والصداقات ووسيلة للتقرب من هذه الطبقة الحاكمة والطبقات الأرستقراطية في مجتمعهم. لذلك سارع الأدباء والكُتاب في عصره – ومن قبله العصر المملوكي– في التمرّن والاحتراف على هذا الأسلوب اللغوي والإكثار منهم في الكتابة، حتى ينالوا رضا هذه الطبقات ومن في زمرتهم. فكانت الألقاب

[١٧] الأدب المصري في العصر العثماني: محمد سيد كيلاني، دار الفرجاني، القاهرة، (د.ت)، ٤٢.

تُحدَّد على حسب الصفة التي يشغلها الفرد، أو كما يقول القلقشندي: "وتكون ألقاب المُجاز على قدر رُتبته"[١٨].

وتضمنَّت إجازة الزَّبيدي للسُّلطان العثماني المبالغة في وصفه، بصفات تكاد ترفعه فوق مرتبة البشر، وتُوجب له الخضوع والعبودية، حتى غدت تلك المبالغة في الوصف سُنَّة مشروعة لا بد من اتّباعها والسّير في ركابها. ومن تلك الصفات–التي حازها السلطان، وصار الالتزام بها ضرورة عند ذوي السُّلطان – في إجازة الزَّبيدي للسلطان أبي الفتح عبد الحميد الأول: "ملك العالم وسلطانه، حامي حمى الإسلام، ماحي عبدة الأصنام، سلطان العالم وأمير المؤمنين، نظام الدنيا والدين، سيد سلاطين العرب والعجم، أعظم سلاطين الزمان، عالم السَّلاطين، وسلطان العلماء".

ولهذا عجَّت تلك الرسالة بكلمات الثناء والمدح المبالغِ فيه، الذي كان عادة المترسّلين فيما يبدو ولا سيما وإن كان الممدوح من ذَوي السُّلطان.

إلا أنَّ الدكتور قصي الحسين يعدّ تلك الظَّاهرة المُشَاعة عند أدباء ذلك العصر نوع من التزلف والتملُّق للتقرب من ذوي السلطان، وفي ذلك يقول: «وقد رأى أولئك الأدباء أنَّ الاستباق إلى كلمات التَّزلف والتَّملق أجدى عند ذوي السُّلطان، وأدعى إلى النَّفع، ثمَّ أضحت زيًّا من أزياء هذا العصر الاجتماعية. فهم يتوددون بهذه المجاملات التي أوغلوا فيها إيغال زلفى ومنفعة»[١٩].

ويختلف الباحث مع الدكتور قصي في قوله السَّابق، فالزَّبيدي مثلًا – وهو أحد أدباء ذلك العصر – ينأى بنفسه أن يكون واحدًا من أولئك الذين يتملّقون السلاطين، فهو شريف النَّسب من جهة، ومن جهة أخرى عِلمُه وشُهرته يكفيانه، وربما كانت هذه رؤيته في حضرة السُّلطان عبد الحميد، أما المبالغة في حدِّ ذاتها فقد كانت طبيعة العصر في الشِّعر والنَّثر.

---

[١٨] القلقشندي: صبح الأعشى، ١٤: ٣٢٧.

[١٩] الأدب العربي في العصرين المملوكي والعثماني: د. قصي الحسين، المؤسسة الحديثة للكتاب ناشرون، طرابلس، لبنان، سنة ٢٠٠٦م، ٣٨٣.

ومما يؤكد ما ذهبنا إليه: ما رواه عبد الحي الكتَّاني في «فهرسه» عن اعتذار الزَّبيدي، وامتناعه للذِّهاب إلى الأستانة، حيث مقرّ السُّلطان والخلافة العثمانية، يقول: «ولعظم شهرة الزَّبيدي كاتَبه ملوك النواحي من التُّرك والحجاز والهند واليمن والمغرب والسودان وفزَّان والجزائر، واستجازوه، وممن أخذ عنه من ملوك الأرض خليفة الإسلام في وقته السلطان عبد الحميد الأول، ووزيره الأكبر محمد باشا بالمكاتبة، واستدعي للأستانة للحضور فاعتذر».

ثانيًا: خصائص إجازة الزَّبيدي (بنيتها وأسلوبها).

أ- بنية الإجازة.

افتتح الزَّبيدي إجازته – كغيره من الُكتَّاب – بالتَّحميد والصَّلاة والتَّسليم في تأس بالرَّسول الكريم سيدنا محمَّد –صلى الله عليه وسلم؛ ولكن هذا التأسي اختلف كثيرًا عنه في العصور المتأخرة: المملوكي والعثماني، فلم يعد بسيطًا كسابق عهده، بل أكثروا من عبارات الثناء والتحميد والتعظيم والمغالاة وإضفاء الألقاب تبعًا لمنزلة الممدوح ورتبته فلكل مقام مقالًا. ثم دخل إلى مضمون إجازته بالكلمة المعروفة: «أما بعد»، وبَيَّنَ بعدها ضرورة التَّمسك بكتاب الله وسنة نبيه، ومبينًا أحقية السلطان العثماني بالتمسك بهما (القرآن الكريم والسنة المطهرة).

ثم انتقل الزَّبيدي (المجيز) بعد ذلك في توجيه خطابه السَّردي للسُّلطان العثماني (المجاز) معددًا صفاته ومناقبه ومآثره وفضائله وبلاغته في أغلب إجازته فهو: «ملك العالَم وسلطانه، وإمام المسلمين، الذي جلس على كرسي الخلافة فما كسرى وإيوانه! أعظم سلاطين الأرض، القائم لله بوظائف النَّفل والفَرض....».

ثم شرع المجيز (الزَّبيدي) بعد الانتهاء من تعداد صفات الممدوح (المجاز) في الدخول إلى الغرض الرئيس من الإجازة قائلًا: «وهذا أوان الشُّروع في المقصود والإتيانِ بالفرضِ الموعُودِ؛ فأقولُ وباللهِ أستعينُ، وإيَّاه أسألُ أن يوفقنا أجمعين: حدثني جمع من الأئمة الأعلام بوَّأهم الله دار السلام... ».

والغرض الرئيس من الرسالة هو إجازة السُّلطان العثماني بحديث الرحمة وسائر ما يجوز له روايته، أو عنه أو تصح درايته كما جاء في إجازته قائلًا: «وقدْ أجزتُ مَولانا السُّلطانَ المشارَ إليه–نظَرَ اللهُ بعينِ عِنايتهِ إليهِ، وخلَّدَ جَزيلَ نِعَمهِ عليهِ ــ أنْ يَروي عنِّي

هذا الحدِيثَ المسلسَلَ بالأوَّلية، وسَائرَ ما يجوزُ لي، وعنِّي روايتُه أو تصحُّ دِرايتُه. ومن جُملةِ ذلك الكُتبُ: السِّتةُ الصِّحاحُ التي هي صَحِيحُ البُخَارِي، ومُسلِم، وسُنن أبي دَاود، والتِّرمذِي، والنَّسَائي، وابن ماجة بشَرطِه المعتَبرِ عنْد أهلِ الأثرِ، مُلتمسًا منْهُ الدُّعاء بظَهرِ الغَيبِ والابتِهالَ بهِ إلى عَالم الغَيب».

خاتمة الإجازة: فقد ختمها الزَّبيدي كما بدأها بمنحه الألقاب والصفات بشيء من المبالغة المعروفة. يقول: «وقَد جَعلْتُ خِتامَ هذِه الصَّحيفةِ مِسْكًا، ونظَمتُ لهُ بجواهِرِ المفَاخرِ سلكًا؛ فختمتُ كما بدأتُ بذكرِ أعظمِ سَلاطين الزَّمانِ الخَافِضِ لكلمةِ الكُفْرِ، والرَّافعِ لكلمةِ الإيمانِ، عالمِ السَّلاطين، وسُلطانِ العُلماءِ، ذي الحضْرةِ العُظْمى التي تتصاغر إليه أكَابِرُ العظَماءِ، إمَامُنا الذي جعَله الله تعَالى قِبلة المطْلوب... ».

وفي نهاية الإجازة المُجاز فيها للسُّلطان عبدالحميد يوضح الزَّبيدي تاريخ كتابتها وطريقة تدوينها قائلًا: «قاله بفمه الفقير إلى مولاه، الشاكر على ما أولاه، أبو الفيض محمد مرتضى الحُسيني الحنفي، خادمُ عِلم الحديث بمصر، غفر الله زلله وأصلح خَلَلَه، وتقبَّل عملَه، وبلغَه في عاشر شوال سنة ١١٩٣هـ..».

ب- <u>أسلوبية الإجازة وخصائصها عند الزَّبيدي.</u>

لا شك أن أسلوب العلامة مُرتضى الزَّبيدي في مؤلفاته – أسلوبًا استثنائيًّا – يختلف كثيرًا عن غيره من كُتَّاب عصره وأدبائه؛ نظرًا لما يتمتع به من فكر سامق وحافظة قوية وقدرات بلاغية ولغوية كبيرة لم تتوافر لأبناء عصره من خلال عشرات المؤلفات والموسوعات التي تركها لنا فيما يتعلق بالعربية وآدابها. ويتميز أسلوب كتابة الإجازة عنده بميزات مهمة:

١. يغلب على أسلوبه الجودة والرصانة، مثل قوله: «السُّلطانُ الذي غُذِّي بُحبِّ العدلِ والإحسْانِ، وعجَزَ عن القِيامِ بشكْرِه كُلُّ لسَان، فكَم رحِمَ مسْكينًا وآوى غَريبًا».
٢. المبالغة في كثرت الصفات وتعدد الألقاب في الإجازة؛ وربما السَّبب في ذلك يرجع لكونها وسيلة لمحاولةِ التقرب من ذوي السُّلطان وعِلْية القوم. مثل قول الزَّبيدي عن السلطان العثماني عبدالحميد الأوَّل ملبسا إياه بألقاب لا تعد ولا تحصى: «فهو حَامِي حِمَى الإسْلام، وماحِي عَبَدة الأصْنَام، سُلْطَان العَالم وأميرُ المؤمنين، نَاصِرُ

المِلّةِ والحَقِّ والشَّرع والدِّين، ومجدِّد معَالم السُّنَّة بعد دُروسِها، ومُحْيي شَعَائِرها، ومُقْيمُ درُوْسِها، الواثِقُ بالله المُسْتَعان، نِظَامُ الدُّنيا والدِّين.... ».

٣. **توظيف النَّص القُرآن: إما اقتباسًا أو إشارة كما في قوله تعالى:﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾[٢٠]. وقوله تعالى:﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾[٢١].**

٤. **الإكثار من توظيف السنة النبوية المطهرة، من ذلك: قول رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم): «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ تَبَارك وتَعَالى، ارْحَمُوا مَنْ في الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ في السَّمَاءِ» [٢٢].**

٥. **التضمين الشِّعري بما يخدم نصه النثري ويحقق الهدف منه؛ وهو في الغالب استشهاد من عيون الشعر العربي: إما من نظمه أو من شعراء آخرين. ومن ذلك استشهاده بمقطوعة شعرية من منظمه في إجازته:**

لَهُ دَولةٌ أسْمَى لهَا اللهُ في الورَى مَكانًا وأعْلاهَا مقَامًا وأعْلاهَا

لقدْ أعْرَبَتْ عن سِيرةٍ عُمَريَّةٍ عَلى العَدْلِ والإحْسَانِ أصْبحَ مَبْنَاهَا
لهَا شَرفٌ بَاهِي السَّنا وفضَائِلٌ أرَى المِسْكَ يُطْوى نَشْرُه عِنْد ريَّاها
وأخْبارُ عَدْلٍ أبْدَعَتْ في طِبَاقِها فَكَم زَالَ حَرُّ الجَورِ مِن بَرْدِ ذِكْرَاهَا
فيا حبَّذا من سِيرةٍ جَلَّ ذكْرُها ودقَّ على الألْبَابِ إدراكُ مَعْنَاها

ومستشهدًا ببيت من شعر ابن الرومي:

ما النَّاسُ إلا هو وما الدُّنيا إلا إسطنبول[٢٣]

---

[٢٠] سورة المعارج، آية 6، 7.

[٢١] سورة النساء، آية 69.

[٢٢] انظر: سنن الترمذي، كتاب البر والصلة – باب ما جاء في رحمة المسلمين، حديث رقم ٢٠٤٩، موسوعة الحديث الشَّريف – جمعية المكنز الإسلامي؛ مسند الإمام أحمد – مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، حديث رقم ٦٦٠٥، موسوعة الحديث الشَّريف – جمعية المكنز الإسلامي؛ سنن أبي داود – كتاب الأدب، باب في الرحمة، حديث رقم ٤٩٤٣، موسوعة الحديث الشَّريف – جمعية المكنز الإسلامي.

[٢٣] لم أقف على نسبته لأحدٍ من الشُّعراء.

ومستشهدًا من شعر أبي العتاهية:

أتَتهُ الخِلافةُ منقادَةً إليهِ تُجرِّر أذيالَها

ولَم تَكُ تَصْلُحُ إلا لَهُ ولَمْ يَكُ يَصْلُحُ إلا لَهَا[٢٤]

٦. التأثر ببعض مصطلحات النحو، كما في قوله: «طالَ ما بنَى فِعْلَ سَيْفِه المَاضِي على الفَتْحِ، وأعْرَبَتْ حَركاتُه السَّعيدةُ عَن معَاني المُنَى والمِنَح، وطَارتْ أخْباره الحَسنة كُلَّ مَطَارٍ».

٧. الحضور المكاني في نصه النثري: من خلال الاستعانة بدلالات الطبيعة وعبيرها وجمالها كما في قوله: «وتَشَنَّفتِ الآذان بحُسْن سُمْعتِه، وتواضَعَ –أدَام الله تَعَالى عُلاه –على فَرْطِ رفْعَتِه حتَّى لَقَد تَحيَّرتْ، أهو في الأرضِ بدليل أنَّ الْبَحرَ في يمينِه أم في السَّماءِ بدَليلِ أنَّ القَمرَ في جَبينِه، وقَامَ بأمُورٍ مدائحها عَلَى الْخَلْق مُتعيِّنَةً». وقوله: «وعمَّرَ خَواطِري بمَحبَّتِه، فَلَمْ يَبْقَ لَها إلى غَيرِه التِفَاتٌ، وأمطَرها سَحائبُ كرمِه، فأخْرجَتْ رِياضَ المدَائحِ مُزهرة بأحسنِ نباتٍ».

٨. الإكثار من السجع وتوظيفه توظيفًا جيدًا كما في قوله: «حدَّثني جَمْعٌ مِن الأئمَّةِ الأعْلام، بوَّأهم اللهُ دارَ السَّلام، وأعْلاهُم سَنَدًا، وأكثَرهُم عَددًا».

٩. الطباق: من ذلك قول الزَّبيدي: «اقتداءً بأئمَّةِ الحديثِ في القَديمِ والحَديث رجَاءَ الانتظامِ في فَرائدِ عُقودِهم البَاهِرةِ الفَاخرةِ في الحياةِ الدُّنيا، وفي الآخرة».

١٠. الجناس: كما في قوله: «وأنَا واللهِ عَاجزٌ عَنْ شُكْر مَرَاحِمِه الشَّريفة، مُعْتَرِفٌ بجزيلِ فَواضِله التي تَفَيَّأتُ ظِلالها الوريفةَ».

ثالثًا: النُّسخةُ المَخْطُوطة التي اعتمدتُ عليه.

تحتفظُ مكتبةُ مركَز جمعة الماجَدِ بدولةِ الإمارات العربية المتَّحدة بنسخةٍ واحدة من تلك الإجازة، وتقع تحت رقم ٣٧٥٤٧٨.

وهذه النسخة مصورة عن النسخة المحفوظة بمكتبة ندوة العلماء بالهند تحت رقم ٤٥٧. وهي النُّسخة التي اعتمدتُ عليها في إخراجِ هذه النشرة.

---

[٢٤] الأبيات لأبي العتاهية، في ديوانه 375، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، سنة ١٩٨٦م.

وتقع في (٣) ورقات، وخطها فارسي، وبها نظام التَّعقيبة. وهي نسخة مكتوبة بخط غير واضح إلى حدٍّ ما، وغير مشكولة.

وجاء على لوحة الغلاف: «صورة إجازة مرسلة إلى سلطان الزمان أبي الفتح عبد الحميد خان، نصره تعالى، للسيد محمد مرتضى الزَّبيدي – رحمه الله تعالى».

أوَّلها: «بسم الله الرحمن الرحيم، وبِهِ ثِقَتِي، الحَمْدُ لله الذِي رَفعَ مَقام أهْلِ الْحَدِيث مَكانًا عليًّا، وأظْهرَ مَحَاسِنَ أحَاديثِهِم الصَّحيحةِ، فلم يكنْ شَيءٌ مِنهَا عَنْ بُلوغِ شَأوِ الكَمَالِ إلا حُسْنًا بهِيًّا...».

وآخرها: «قَالَهُ (بفمِه) الفقِيرُ إلى مَولاه، الشَّاكرُ على ما أولاه، أبو الفَيضِ مُحمَّد مُرتضَى الحُسَينيّ الحنَفيّ، خَادِمِ عِلمِ الحَدِيثِ بمصْر، غَفرَ اللُه زلَلَه، وأصْلحَ خَلَلَهُ، وتَقَبَّلَ عَملَه، وبلغَه أهلَه في عَاشِرِ شوَّالَ سنة ١١٩٣هـ».

رابعًا: منهجي في التَّحقيق.

١. ضبط النَّص ضبطًا صحيحًا.
٢. كتابة النَّص بالرسم الإملائي الحديث للكتابة العربية.
٣. عزو الأبيات الشعرية إلى قائليها، وتوثيق الأشعار من الدواوين وكتب الأدب.
٤. تخريج الآيات القرآنية من المصحف الشريف.
٥. تخريج الأحاديث النبوية من كُتب السّنة.
٦. التعريف بمعظم الأعلام.
٧. صنع ثبت المصادر والمراجع التي اعتمدتها في تحقيقي للنَّص، وثبت بمحتويات البحث.

خامسًا– نمـــاذج من لوحات المخطوط:

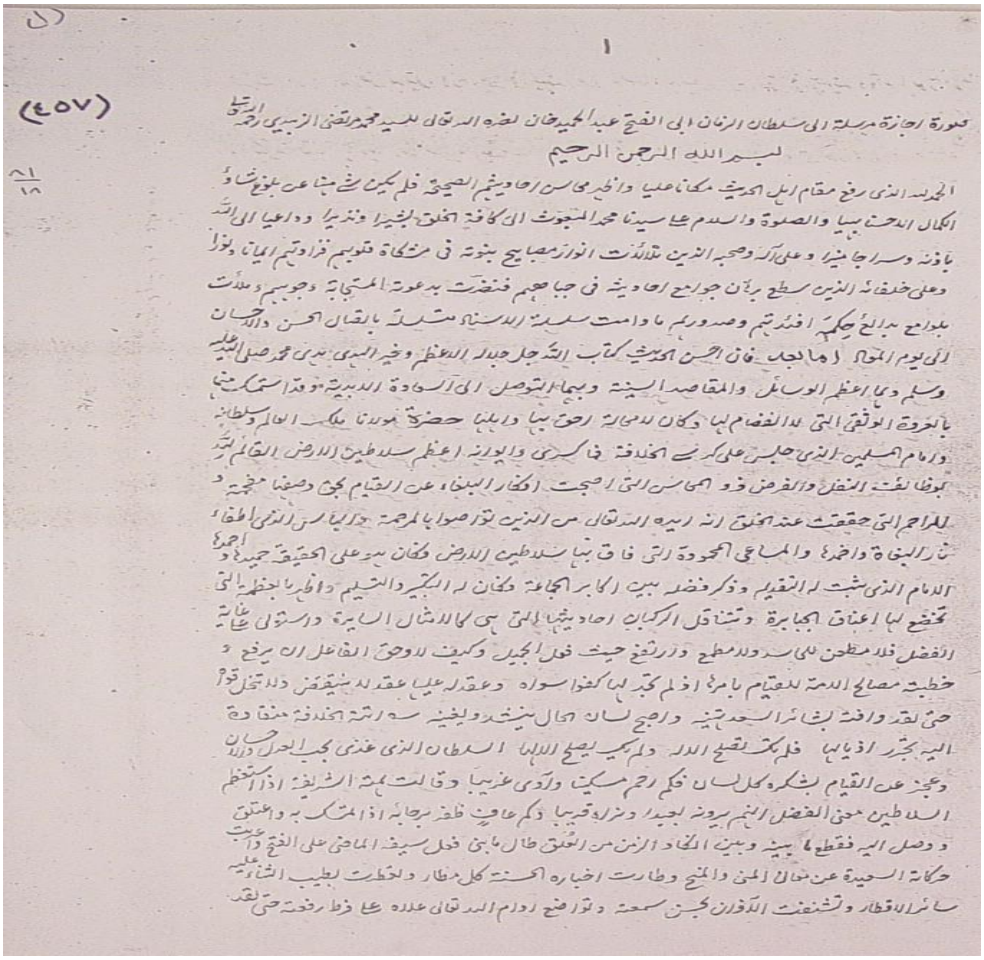

(٤٥٧)

صورة اجازة مرسلة الى سلطان الزمان ابى الفتح عبد الحميد خان نضره الرحمان للسيد محمد مرتضى الزبيدي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى رفع مقام اهل الحديث مكانا عليا واظهر محاسن احاديثهم الصحيحة فلم يكن شئ منها عن بلوغ شاوُ الكمال الدحن بهيا والصلوة والسلام على سيدنا محمد المبعوث الى كافة الخلق بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وعلى آله وصحبه الذين تلألأت انوار مصابيح بنوته فى مشكاة قلوبهم فزادتهم ايمانا ونورا وعلى خلفائه الذين سطع برهان جوامع احاديثه فى جباههم فنضرت بدعوته المستجابة وجوههم وملأت بدوامع حكمه افئدتهم وصدورهم ما دامت سلسلة الاسناد متسلسلة بالقال الحسن والرجحان الى يوم المعاد اما بعد فان احسن الحديث كتاب الله جل جلاله الاعظم وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وهى اعظم الوسائل والمقاصد السنية وبهما التوصل الى السعادة الابدية فقد استمسك منها بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها وكان لامامنا رحمه الله وابقاها حضرة مولانا ملك العالم وسلطانه وامام المسلمين الذى جلس على كرسى الخلافة فاكرمه الله وايدانه اعظم سلاطين الارض القائم بوظائف النفل والفرض ذو المحاسن التى اصبحت افكار البلغاء عن القيام بحق وصفها مفحمة والمراحم التى حققت عند الخلق انه زبده الرقاق من الذين تواصوا بالمرحمة جاريا مع الذى اطفأ نار البغاة واخمد والمساعى المحمودة التى فاق بها سلاطين الارض وكان هو على الحقيقة حميدها واجمدها الامام الذى ثبت له التقديم وذكر فضله بين اكابر الجماعة وكان له التكبير والتسليم واظهر بالحظه الى تخضع لها اعناق الجبابرة وتتناقل الركبان احاديثها التى هى كالامثال السايرة والاسئلة عالية الفضل فلا مطمن لذى سدد ولا مطمع وارتفع حيث فضل الجليل وكيف لا وحق الفاعل ان يرفع خطبة مصالح الامة للقيام بامرها اذ لم تجد لها كفوا سواه وعقد له على عقده لا ينقض ولا تحل قوا حتى لقد وافقت بشائر السعادتين واصبح لسان الحال ينشد وليغنه سه راية الخلافة منقادة اليه بجذر اذيالها فلم يكن لتصلح الا له ولم يكن ليصلح للها السلطان الذى غذى بحلب العدل والاحسان وعجز عن القيام بشكره كل لسان فكم رحم مسكين وآوى غريبا وقالت همة الشريف اذا استظم السلاطين حتى الفضل الذى يرونه بعيدا وذراه قريبا وكم عاف ظفر بجانبه اذا امتسك به واعتلق وصل اليه فقطعها بينه وبين الكواكب الزمن من العلق طال مابنى فعل سيف الماضى على الفتح واجبت حركاته السعيدة عن منوال المن والمنح وطارت اخباره الحسنة كل مطار واخطرت بطيب الثناء عليه سائر الاقطار وتشنفت الاذان بحسن سمعته وتواضع ادام الله تعالى علاه على ظرفه حتى لقد

الورقة الأولى من إجازة مرتضى الزَّبيدي للسلطان أبي الفتح عبد الحميد خان

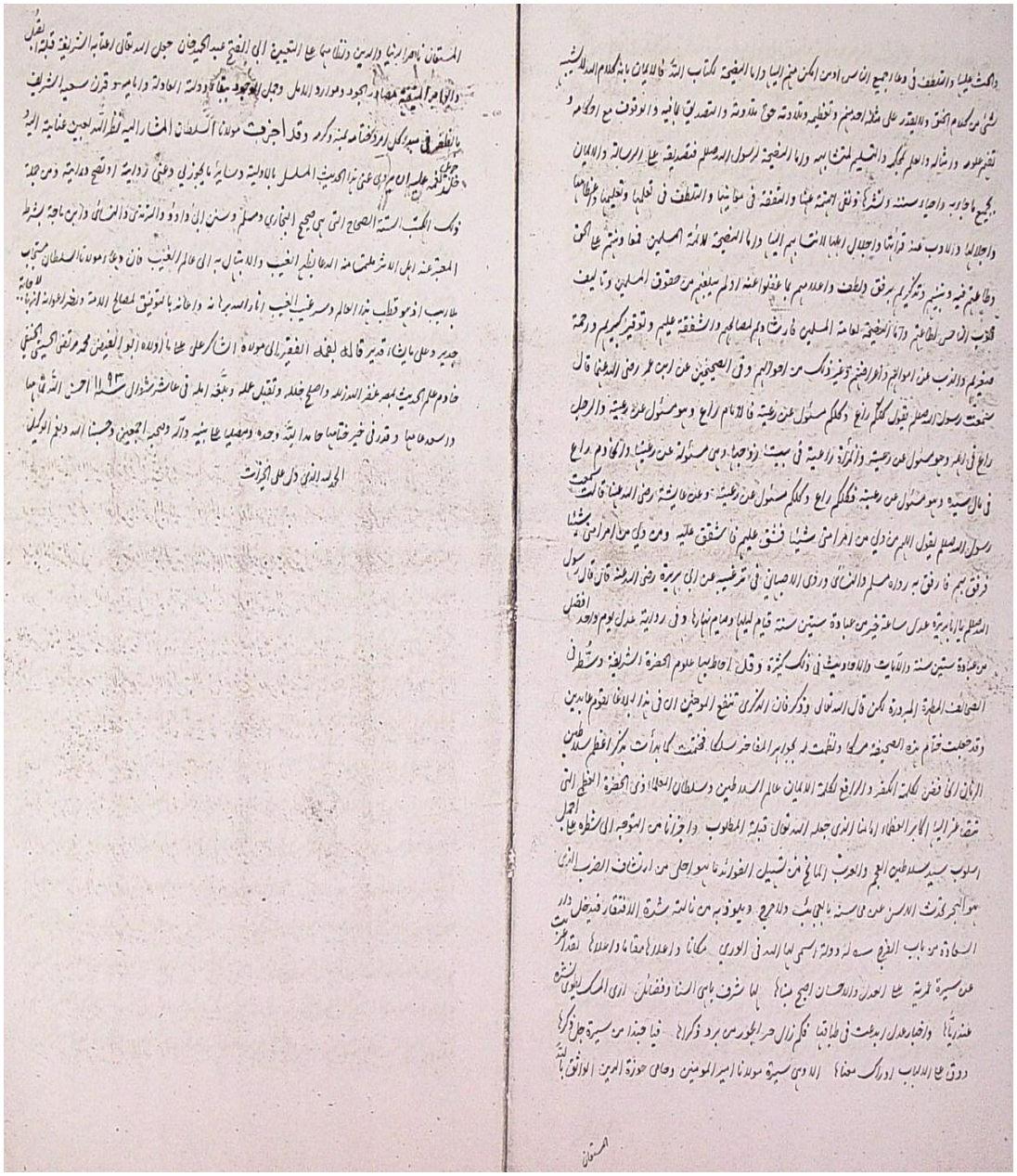

الورقة الأخيرة من مخطوط الإجازة

سادسًا– النَّصُّ مُحقَّقًا:

صُورةُ إجازةٍ مُرسلةٍ إلى سُلطَانِ الزَّمانِ أبي الفتْحِ عَبْد الحَميدِ خَان (نصَره الله تعالى) للسيِّد محمَّد مرتضى الزَّبيدي (رحمه الله تعالى).

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

/ظ١/ الحَمْدُ لله الذِي رَفعَ مَقام أهْلِ الحَدِيث مَكانًا عليًّا، وأظْهرَ مَحَاسِنَ أحَاديثهِم الصَّحيحةِ، فلم يكنْ شَيءٌ مِنهَا عَنْ بُلوغِ شَأوِ الكَمَالِ إلا حُسْنًا بهِيًّا.

والصَّلاة والسَّلام على سيدِنا مُحمَّدٍ المبعُوثِ إلى كَافة الخَلْق بشيرًا ونَذيرًا، ودَاعيًا إلى الله بإذْنِه وسِراجًا منيرًا، وعلى آلهِ وصَحْبِهِ الذينَ تَلألأتْ أنْوارُ مَصَابيحِ نُبوتِه في مِشْكَاة قُلُوبهم فَزادتْهُم إيمانًا ونُورًا، وعلى خُلفائه الذينَ سَطَعَ بُرهَانُ جَوامعِ أحاديثِهِ فِي جِباهِهِم فنُضرّتْ بدعوتِهِ المُستَجَابةِ وجُوهُهِم ومُلئتْ بلوامعِ بَدائعِ حِكَمتِه أفْئدَتُهم وصُدورُهم مَا دامَتْ سِلْسلةُ الإسْنادِ مُتسلسلةً باتِّصَالِ الحُسْنِ والإحْسَانِ إلى يوم المَعَاد.

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أحْسَنَ الْحَديثِ كِتَابُ الله جَلَّ جَلالُه الأعْظَمُ، وخَيرَ الهَدي هَدْيُ مُحَمَّدٍ–صَلَّى الله عليه وسلم، وهُمَا أعظَمُ الوسَائلِ والمَقَاصِدِ السَّنيَّة، وبِهما التَّوصُّلُ إلى السَّعادةِ الأبدية، وقَد استَمْسَك مِنْهُما بالعُروة الوثْقَى التِي لا انفِصَامَ لها.

وكانَ – لا مَحالةَ – أحقَّ بِها وأهْلَها حَضْرةُ مَولانا مَلكَ العَالَم وسُلطانهُ، وإمامُ المُسْلمين، الذي جَلسَ على كُرسِيّ الخِلافَةِ فما كِسرى، وإيوانُه أعظمُ سَلاطين الأرض، القائمُ لله بوظائف النَّفلِ والْفَرض.

ذو المَحَاسنِ التي أصبَحتْ أفكارُ البُلغاءِ عَن القِيامِ بِحقِّ وصْفِها مُفحِمَةً، والمَرَاحِمُ التي حقَّقتْ عندَ الخَلق أنَّه أيَّده الله تَعالى من الذين﴿ تَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾[٢٥] والبَأسِ الذي أطْفَأ نَارَ البُغَاةِ وأخْمَدها، والمَسَاعي المحْمُودةِ التي فاقَ بها سَلاطينَ الأرضِ فكانَ هو على الحَقيقَةِ حَمِيدَها وأحْمَدَها.

---

[٢٥] اقتباس من سورة البلد، آية ١٧.

الإمامُ الذي ثبتَ لهُ التَّقديمُ، وذُكِرَ فَضْلُه بينَ أكَابرِ الجَمَاعةِ، فكَانَ لَهُ التَّكبيرُ والتَّسليم، وأظْهَر بالعَظمةِ التي تَخْضَعُ لها أعْنَاقُ الجَبَابرةِ، وتتنَاقلُ الرُّكبانُ أحاديثَها التي هي كالأمثَالِ السَّائرةِ، واسْتولَى علَى غَايةِ الفَضْلِ، فلا مَطْعن للحَاسِدِ ولا مَطْمَعَ، وارتَفعَ حيثُ فَعلَ الجَمِيلَ، وكيفَ لا وحقُّ الفاعلِ أنْ يُرفعَ، وخُطْبته مَصَالح الأمة للقيامِ بأمْرها إذْ لم تَجدْ لها كُفوًا سِواه.

وعُقِدَ له علَيْها عقْدٌ لا ينتقِضُ، ولا تنْحلُّ قواه، حتَّى لقَدْ وافتْه بشَائرُ السَّعد تُهنِّيه، وأصبَحَ لسانُ الحَالِ ينشِدُ ويغنِّيه: [بحر المتقارب]

أتَتهُ الخِلافةُ منقادَةً إليهِ تُجرِّر أذيالَها
ولَم تَكُ تَصْلُحُ إلا لَهُ ولَمْ يَكُ يَصْلُحُ إلا لَهَا[٢٦]

السُّلطانُ الذي غُذِّي بُحبِّ العدلِ والإحسْانِ، وعجَزَ عن القِيامِ بشكْرِه كُلُّ لسَان، فكَم رحِمَ مسْكينًا وآوى غَرِيبًا. وقَالتْ همَّتهُ الشَّريفةُ إذا اسْتَعظَم السَّلاطين مَعْنَى الفَضْل: ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ [٢٧].

وكَمْ عَافٍ ظَفِرَ برجائِهِ إذا تَمسَّك بهِ، واعْتَلقَ ووصَلَ إليهِ، فقَطَعَ مَا بَينَهُ وبين أنْكَادِ الزمن[٢٨] من العُلق، طالَ ما بنَى فِعْلَ سَيْفِه المَاضِي على الفَتْحِ، وأعْربَتْ حَركاتُه السَّعيدةُ عَن معَاني المُنَى والمِنَح، وطَارتْ أخْباره الحَسنة كُلَّ مَطَارٍ، وتعطَّرتْ بطِيبِ الثَّناءِ عليْه سَائرُ الأقْطَارِ، وتَشَنَّفتِ الآذان بحُسْن سُمْعتِه، وتواضَعَ -أدَام الله تَعَالى عُلاه- على فَرْطِ رفْعَتِه حتَّى لَقَدْ/١و/تَحيَّرتْ، أهو في الأرضِ بدليل أنَّ الْبَحرَ في يمينِه أم في السَّماءِ بدَليلِ أنَّ القَمرَ في جَبينِه، وقَامَ بأمُورٍ مدائحها عَلَى الْخَلْق مُتعيِّنَةً. وقَالَ المُدَّعِي: لتَقدُّمِه على سَلاطين العَصْرِ: هذه دعْواي ومَحاسِنهُ هِي البيِّنةُ: [بحر البسيط]

هذا ثنَائي وهَاتيكُم مناقِبُه يا أيُّها النَّاس ما أبعدتُ إشْهَادي[٢٩]

---

[٢٦] الأبيات لأبي العتاهية، في ديوانه 375، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، سنة ١٩٨٦م.

[٢٧] اقتباس من سورة المعارج، آية 6، 7.

[٢٨] أنكاد الزمن: أي عسر الزمن وشؤمه. انظر لسان العرب، مادة (نَكِدَ).

[٢٩] في البيت تضمين من قول الشَّاعر ابن الرومي في ديوانه ١: ٤١١، شرح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، سنة ٢٠٠٢م: هذا ثنائي وهاتيكم مناقبُكم ** بأعين النَّاس ما أبْعدتُ إشهادي.

فهو حَامِي حِمَى الإسْلام، وماحِي عَبَدة الأصْنَام، سُلْطَان العَالم وأميرُ المؤمنين، نَاصِرُ المِلّةِ والحَقِّ والشَّرع والدِّين، ومجدِّد معَالم السُّنَّة بعد دُروسِها، ومُحْيِي شَعَائِرها، ومُقْيمُ درُوْسِها، الواثِقُ بالله المُسْتَعان، نِظَامُ الدُّنيا والدِّين: أبو الفَتْحِ عَبْد الحَمِيد خَان، أدَام الله تعالى سُلْطَانه، وأعَانَ أنْصَارَه ونَصرَ أعْوانهُ، وخلَّد دَولَتَهُ، وأعْلَى عَلَى مَمَرِّ الزَّمَان كَلِمَتَه. فلقَدْ أنَامَ الأنَامَ فِي مَهَاوِ الخِصْبِ والأمَانِ، وأقامَ رعَاياه فِي مُقَام السَّعادة آمنين، في زمَانة الزَّمَان، ولاحَ كالشَّمس فِي أُفِق هذه المملْكةِ العَالية، فذَهَبتْ نُفوسُ الأعْداءِ فِي الحَسَرات تَجولُ، وعُمّرتْ بِه أرْجاؤها الحسنة، حتَّى لقَدْ قَالَ القَائلُ: [الرجز]

ما النَّاسُ إلا هو وما الدُّنيا إلا إسطنبول[٣٠]

وأنَا والله عَاجزٌ عَنْ شُكْر مَرَاحِمِه الشَّريفةِ، مُعْتَرِفٌ بجزيلِ فَواضِله التي تَفَيَّأتُ ظِلالها الوريفةَ. وكيفَ لا وقَدْ سَبقَ آمالي بجِيادِ مَكارِمه التي لا تُلْحقُ؟! ووالِيتُ حضْرتَه الشَّريفة حيث أعتقني من رق الإعْسَار، «وإنَّما الْوَلاء لِمَنْ أَعْتَقَ»[٣١].

وعمَّرَ خَواطِري بمَحبَّتِه، فَلَمْ يَبْقَ لَها إلى غَيرِه التِفَاتٌ، وأمطَرها سَحائبُ كرمِه، فأخْرجَتْ رِياضَ المدَائحِ مُزهرة بأحسنِ نباتٍ، وأثْقَلَ عُنُقِي بِمنَنٍ ليس لي بشكْرها من قِبَلْ، وبلغَنِي ما أتمنَّاه حتى صِرْتُ أصْحَبُ الدُّنيا بلا أمَلْ، [بحر البسيط]

وكُلّ نَفْسٍ عَنِ الأيَّامِ راضِيَةٌ به فلا عَرفت بعد الرِّضا سَخَطَا

وهذه صَحِيفةٌ لَطيفَةٌ، ومجَلةٌ حَسَنةٌ شَرِيفةٌ، هِي عُنْوانُ شَرفٍ وحُكْمٌ وعِلْمٌ، وتُرجُمانُ صِدْقٍ وإنَاءةٍ وحِلْم يعْربُ حقّ اليقين بلِسَانٍ عَربيٍّ مُبِينٍ [٣٢]، على مَا يُروِّعُ منْ عَظِيم المهابَةِ والإجلال، عَلى ما يروقُ من الْعَواطفِ، والمراحِمِ التي هي مَنْشَأُ الآمَالِ،

---

[٣٠] لم أقف على نسبته لأحدٍ من الشعراء.

[٣١] اقتباس من الحديث الشَّريف: الذي رواه عَبْد الله بن عُمَرَ – رضى الله عنهما – أَنَّ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَرَادَتْ أَنْ تَشْتَرِىَ جَارِيَةً فَتُعْتِقَهَا، فَقَالَ: «أَهْلُهَا نَبِيعُكِهَا عَلَى أَنَّ وَلاَءَهَا لَنَا، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: لاَ يَمْنَعُكِ ذَلِكَ؛ فَإِنَّمَا الْوَلاَءُ لِمَنْ أَعْتَقَ». انظر: حديث ٢٢٠٩، صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب إذا اشترطوا في البيع شروطًا لا تحل، موسوعة الحديث الشريف، جمعية المكنز الإسلامي، القاهرة، سنة ١٩٩٩م.

[٣٢] اقتباس من قوله تعالى:﴿ لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ سورة النَّحل، آية ١٠٣.

فحَقٌّ حقِيقٌ أن ينثر على بِسَاطِ إنعَامِه، ولُطْفه وحَنَانِه جواهِر شُكْرِه على تَوالي فَضْله وإحْسَانه وامْتِنَانِه: [الكامل]

كالبحرِ يُمطِره السَّحابُ ولا لَهُ يمنٌ عليه لأنَّه من مائه[٣٣]

ولا بِدْعَ أنْ يُروى عند جَنابه إلاَّ على بعْضِ مَرْوياتهِ ويُهدى لحضْرتِه ثَمرةً فذَّةً من زاهِر هباته، وحسَناتِه، اقتداءً بأئمَّةِ الحدِيثِ في القَديمِ والحَديثِ رجَاءَ الانتظامِ في فَرائدِ عُقودِهم البَاهِرةِ الفَاخرةِ في الحياةِ الدُّنيا، وفي الآخِرةِ، ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[٣٤]، مَنَّ الله تَعَالى بذلك، وحقَّقَه تَحقيقًا آمين.

وهذا أوانُ الشُّروعِ في المقصُودِ والإتْيانِ بالفَرضِ الموعُود؛ فأقولُ وباللهِ أسْتعينُ، وإيَّاه أسْألُ أنْ يُوفِّقَنا أجْمعِين:

حدَّثني جَمْعٌ مِن الأئمَّةِ الأعْلام بوَّأهم اللهُ دارَ السَّلام، وأعْلاهُم سَنَدًا وأكثَرهُم عَددًا. شَيخُنا الإمامُ المحدِّثُ المسْنِدُ الجَليلُ السَّيدُ عُمَر بن أحمْد بن عَقِيل الحُسَيني المكّيّ[٣٥]، وهو أوَّلُ حديثٍ سَمعْتُه من حفْظِه ولفْظِه بالمدينة المنوَّرة، قُربَ بَاب الرَّحمةِ في شُهورِ سَنةِ ١١٦٤هـ.

قَالَ: حدَّثنا الإمامُ المحدِّثُ المقرئُ شِهابُ الدِّينِ أحمَدُ بن محمَّد بن عبْد الغَنِي الدِّمياطِي [٣٦]، وهو أوَّلُ حدِيثٍ سَمعتُهُ مِنهُ. قَالَ: حدَّثنا المُسْنِدُ المُعمَّرُ شَمْسُ الدِّينِ محمَّدُ بن عَبدِ العَزِيزِ المنوفي، وهُو أوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتُه منْه.

---

[٣٣] البيت من أشعار البديع الأسطرلابي: هبة الله بن الحسين بن يوسف، أبو القاسم، المتوفِّي سنة ٥٣٤هـ. انظر الوافي بالوفيات: صلاح الدين الصفدي ٢٧: ١٦١، وروايته فيه مختلفة، إذ هي:

كالبحرِ يُمطرُه السَّحابُ وما له ** فضلٌ عليه لأنَّه من مائِهِ.

وفي رواية أخرى: مَنٌّ عليه.

[٣٤] اقتباس من سورة النساء، آية 69.

[٣٥] تُوفِّي سنة 1171هـ، راجع عجائب الآثار في التراجم والأخبار: عبد الرحمن الجبرتي، 1: 422.

[٣٦] هو الشَّهير بالبناء، خاتمة من قام بأعباء الطريقة النقشبندية بالديار المصرية، ورئيس من قصد لرواية الأحاديث النبوية، تُوفِّي سنة 1117هـ بالبقيع. راجع عجائب الآثار في التراجم والأخبار: عبد الرحمن الجبرتي، 1: 160-161.

قَالَ: حَدَّثَنا الشَّيْخ المعَمَّر أبُو الخَير عَمر بن عَمُوس /٢ظ/ الرَّشِيدِي، وهو أوَّل حَدِيثٍ سَمِعْتُه مِنه. قَالَ: حدَّثَنا شَيخُ الإسْلامِ زَكَريا بنُ محمَّدٍ الأنصَارِيّ [٣٧]، وهو أوَّل حَديثٍ سَمِعْتهُ منه. قَالَ: حدَّثنا الإمامُ الحافظُ شِهَابُ الدِّينِ أبُو الفَضْلِ أحمَدُ بنُ عَليٍّ القَسْطَّانيُّ[٣٨]، وهو أوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْه.

قَالَ: حَدَّثنا حَافِظُ الوقْتِ زَينُ الدِّينِ أبُو الفَضْلِ عَبْد الرَّحِيم بنُ الحُسَين العِرَاقِيّ[٣٩]، وهو أوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتُه مِنْه. قَالَ: حَدَّثَنا الإمَامُ المُسْنِدُ صَدْرُ الدِّينِ أبُو الفَتْحِ مُحمَّد بنُ مُحمَّدٍ المَيْدُومِيّ[٤٠]، وهو أوَّل حديث سمعته منه.

قَالَ: حَدَّثَنا الإمَامُ «المسْنِدُ» نَجِيبُ الدِّينِ أبو الفَرج عَبدُ اللطِيف بن عَبد المنعم الحَرَّاني [٤١]، وهو أوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتُه مِنْه.

قَالَ: حدَّثنا الإمامُ الحَافِظُ زَينُ الدِّين أبُو الفَرجِ عَبدُ الرَّحمَن بنُ عَليّ البَغْدِادي[٤٢]، وهو أوَّل حَدِيثٍ سَمِعْتُه مِنْه. قَالَ: حَدَّثنا الإمَامُ أبُو سَعْدٍ إسْمَاعِيلُ بنُ أحمَد النَّيسَابوريّ[٤٣]، وهو أوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتُه مِنْه.

---

[٣٧] راجع في ترجمته الضوء اللامع:محمد عبد الرحمن السَّخاوي،دار الجيل، بيروت،(د.ت)،3: 234238.

[٣٨] تُوفي سنة 923هـ، راجع في ترجمته البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: محمد بن علي الشَّوكاني، تحقيق: محمد حسن حلاق، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط1، سنة 2006م، 132-133.

[٣٩] من كبار حفَّاظ الحديث، تُوفِّي سنة 806هـ، راجع في ترجمته الضوء اللامع: محمد بن علي السخاوي، 4: 171؛ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: محمد بن علي الشَّوكاني، 392.

[٤٠] هو أحفظ أهل عصره، مات في شهر رمضان سنة 754هـ، راجع الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ابن حجر العسقلاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 4: 157-158.

[٤١] هو الشيخ الجليل مسند الديار المصرية، كانت وفاته سنة 672هـ، راجع المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي: يوسف بن تغرى بردي الأتابكي، حققه ووضع حواشيه: د. محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة 1993م، 7: 356.

[٤٢] أبو الفرج علامة عصره في التاريخ والحديث، تُوفِّي سنة 597هـ، راجع الأعلام: خير الدين الزركلي، 3: 316.

[٤٣] توفي بعد سنة 430هـ بنيسابور، راجع التقييد لمعرفة الرواة والسنن والمسانيد: لابن نقطة، طبعة حيدر آباد الدَّكن، الهند، ط1، سنة 1983م، 1: 242.

قَالَ: حَدَّثَنَا والدِي الإمَامُ أبُو صَالحٍ أحمَدُ بن عَبدِ الملِكِ النَّيسَابُوري [٤٤]، وهُو أوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتُه مِنْه. قَالَ: حَدَّثنا الإمَامُ أبُو طَاهِرٍ مُحمَّد بن محمَّد بن مُحَمَّش الزِّيادِي[٤٥]، وهو أوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتُه مِنْه.

قَالَ: حَدَّثنا الإمَامُ أبو حَامدٍ أحمَدُ بنُ محمَّد بن يحيى بن بِلالٍ[٤٦]، وهو أوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتُه مِنْه. قَالَ حدَّثنا عبدُ الرَّحمنِ بن بشرِ بن الحكم العبديُّ[٤٧]، وهو أوَّل حَدِيثٍ سَمِعْتُه مِنْه.

قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بن عيينة[٤٨] – وهو أوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتُه مِنْه – عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِى قَابُوسَ عَنْ عَبْدِ الله بنِ عَمْرو بن العَاص، رضِي الله عنهُما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله، صلى الله عليه وسلم: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ تَبَارك وتَعَالى، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»[٤٩].

---

[٤٤] هو الأمين المتقن الثقة المحدث الصوفي نسيج وحده في طريقته وجمعه وإفادته، وتوفي في شهر رمضان من سنة ٤٧٠هـ، راجع التقييد لمعرفة الرواة والسنن والمسانيد: لابن نقطة، 1: 159.

[٤٥] فقيه نيسابور ومحدثها في أيامه، توفِّي سنة 410هـ، راجع تهذيب الأسماء واللغات: لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النَّووي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2: 245؛ طبقات الشافعية الكبرى: عبد الوهَّاب السبكي، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو– محمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د.ت)، 4: 198.

[٤٦] هو الشيخ المُسند الصَّدُوق، الثقة المأمون المشهور، سمع منه الكبار، وانتهى إليه علو الإسناد، تُوفِّي سنة ٣٣٠هـ، راجع سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط– وإبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، سنة ١٩٨٣م، ١٥: ٢٨٤.

[٤٧] هو عبد الرحمن بن بشر بن الحكم بن مهران العبدي النيسابوري، كان صدوقا ثقة، مات بعد الخمسين والمائتين. راجع الجرح والتعديل: للرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، سنة ١٩٥٣م، ٢: ٢١٥؛ الثقات لابن حبان، طبع تحت مراقبة: د. محمد عبد المعيد خان، طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، سنة ١٩٧٣م، ٨: ٣٨٢.

[٤٨] كانت وفاته سنة 198هـ، راجع في ترجمته سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط– ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1982م، 8: 454.

[٤٩] انظر: سنن الترمذي، كتاب البر والصلة ــ باب ما جاء في رحمة المسلمين، حديث رقم ٢٠٤٩، موسوعة الحديث الشَّريف – جمعية المكنز الإسلامي؛ مسند الإمام أحمد – مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، حديث رقم ٦٦٠٥، موسوعة الحديث الشَّريف – جمعية المكنز الإسلامي؛ سنن أبي داود – كتاب الأدب، باب في الرحمة، حديث رقم ٤٩٤٣، موسوعة الحديث الشَّريف – جمعية المكنز الإسلامي.

هذا أوَّلُ حَدِيثٍ رُوي مُسَلْسلًا، وقَدْ رَواهُ الإمِامُ أحْمَدُ، وعَبْدُ بن حُميد، ومُسَدَّد، وأبُو بَكْر بنُ أبي شَيبَة في مَسَانِيدِهم، وأبُو داود والتِّرمِذي في «سُننهما»، والحَاكمُ والبَيهَقِيّ في «شُعَبِ الإيمَانِ»، وهُو حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ عَالي الإسْنَادِ بَينَنَا، وبَينَ النَّبيّ(صلم) [٥٠] تِسْعَةَ عَشَرَ رجال [٥١].

ومَعْنَاهُ: ارْحَموا من تَسْتَطِيعون أنْ تَرْحَمُوه بِرَحْمَتِكُم المتَجَرّدة الحَادِثَة المخْلُوقَة لله تَعَالى بمَحضِ فَضْلِه عَليكُم مِن شَفَقَةٍ وإحْسَانٍ ومُواسَاةٍ وشَفَاعَةٍ، ودُعَاءٍ وتَوجُّه إلى اللهِ تَعَالى، على حَسَبِ ما يقْتَضِيه الحَالُ باتِّباعِ الكِتَابِ والسُّنَّةِ بقَدرِ الاسْتطَاعةِ والإمكَانِ، فإنَّ لِكُلّ مَقَامٍ مَقَالاً.

وقَدْ كَانَ النَّبيُّ (صلم) أرْحَمَ الخَلق، فما ضَربَ خَادمًا ولا مملُوكًا، ولا انتَقَمَ لنَفْسهِ قَطّ، وكَانَ يَضْربُ بسَيفِه أعْداءَ الله. قَالَ تعَالى في حقِّ الصَّحَابةِ، رضِي اللهُ عَنْهُم:﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾[٥٢].

هذا وقَد رَوينَا بالأسَانيدِ العاليةِ الصَّحِيحَةِ الثَّابتَةِ المتَّصِلةِ إلى الإمَامِ أبي الحَجَّاج مُسْلِم بن الحَجَّاج القُشَيريّ، رحِمه الله تعَالى، في «صَحِيحِه» بسَنَدِه إلى الإمَامِ أبي رُقَيَّة تمِيم بن أوسٍ الدَّاريّ، رضِي الله تعالى عَنْه، أنَّ النَّبيَّ (صلم) قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لمَنْ؟ قَالَ: «لله ولِكِتَابِهِ ولِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وعَامَّتِهِمْ» [٥٣]، هذا حديثٌ عَظِيمُ الشَّأنِ عليه مَدارُ الإسْلام.

أمَّا (النَّصيحةُ لله): فمَعْنَاهُ منْصرِف إلى الإيمانِ بهِ، ونفْي الشَّريكِ عنْه، وترك الإلحادِ في صِفَاتِه ووصْفِه بصِفَاتِ الكَمَالِ والجَلال كُلِّها. وتَنْزِيهه سُبحَانه عن جَميعِ أنْواعِ النَّقَائص، والقِيامِ بطَاعتِهِ واجْتِنَابِ مَعْصِيته، وموالاةِ من أطَاعَه، ومُعَادَاة مَن عَادَاه

---

[٥٠] من الحروف الاختصار التي ترمز إلى قوله (صلى الله عليه وسلم).

[٥١] كذا في المخطوط، وتمييز الأعداد من أحد عشر إلى تسعة عشر، مفرد منصوب، وجوز الفرّاء أن يأتي جمعًا منصوبًا، ولم أقف على وجه الجر عمومًا عن العرب. وانظر همع الهوامع: للسيوطي، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، (د.ت)، ٢: ٣٤٧.

[٥٢] سورة الفتح، آية ٢٩.

[٥٣] انظر صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنَّ الدين النَّصيحة، حديث رقم ٢٠٥، موسوعة الحديث الشَّريف –جمعية المكنز الإسلامي.

وعَصَاه وجهَادِ من كفرَ به، والاعترافِ بنعْمتِه وشُكْرِه عَلَيها، والإخْلاصِ في جميعِ الأمورِ والدُّعَاءِ إلى جميعِ الأوصافِ المذْكُورة/٢و/والحثِّ عليها والتَّلطُّفِ في دُعاءِ جميعِ النَّاسِ، أوْ مَن أمكَن منهُم إليهَا.

وأمَّا (النَّصيحةُ لكتِاب الله): فالإيمان بأنَّه كَلام الله لا يشْبِهُه شَيءٌ مِن كَلام الخَلق، ولا يقدرُ على مثْلِه أحدٌ منهُم، وتعظِيمُه وتلاوتُه حقَّ تلاوتِه، والتَّصْديق بما فيه، والوقُوفُ مع أحكَامِه وتَفَهُّم عُلومِه وأمثَالِه، والعِلْمُ بمحكمِه والتَّسليمُ لمتشَابِهِه.

وأمَّا (النَّصيحةُ لرسُولِ الله ــ صلم): فتصْديقُه على الرسَالةِ، والإيمانُ بجميعِ ما جَاءَ به وإحياءُ سُننِه ونشْرها ونفْي التُّهمةِ عنْها، والتَّفقُّهُ في مَعَانيها، والتَّلطُّف في تَعلّمِها وتعليمِها، وإعظَامُها وإجْلالها، والأدبُ «عندَ قِراءتِها»، وإجلالُ أهلِها لانتسَابهم إليها.

وأمَّا (النَّصيحةُ لأئمةِ المُسْلِمين): فمعَاونتُهم على الحقِّ وطَاعتُهم فيه، وتَنبيههم وتذكِيرهُم برفْقٍ ولطْفٍ وإعْلامُهم بما غفَلوا عنْه، أو لم يَبْلُغْهم من حقُوق المسْلِمين، وتأليفُ قُلوبِ النَّاسِ لطَاعتِهم.

وأما (النَّصيحةُ لعَامةِ المسْلِمين): فإرشَادهُم لمصالحِهم والشَّفقةُ عليهِم، وتوقيرُ كبيرهِم ورحمةُ صغِيرهِم، والذَّبُّ عن أموالهِم وأعْراضِهم، وغير ذلك من أحْوالهِم.

وفي «الصَّحيحَين» عنْ ابن عُمرَ، رضِي الله عنهُما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله(صلم) يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فالإمَامُ رَاعٍ ومَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ رَاعٍ في أَهْلِهِ، وهوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، والْمَرأَةُ رَاعِيَةٌ في بَيْتِ زَوْجِهَا، فهِي مَسْئُولَة عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ في مَالِ سَيِّدِهِ، وهو مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وكُلُّكُم مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» [٥٤].

وعن عائشة، رضِي الله عنْها، قَالتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله (صلم) يَقُولُ: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ ومَنْ وَلِيَ منْ أَمْرِ أُمَّتي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ» [٥٥]، رواهُ مُسْلِم والنّسَائِي.

---

[٥٤] صحيح البخاري، حديث رقم ٩٠١، ٢٧٨٩ وصحيح مسلم، حديث رقم ٤٨٨٢ – موسوعة الحديث الشريف، جمعية المكنز الإسلامي.

[٥٥] أخرجه مسلم في صحيحه، حديث رقم ٤٨٢٦.

وروَى الأصْبَهَانِيّ في «تَرْغِيبه» [٥٦] عَن أبي هُريرةَ، رضِي اللُه عنهُ، قَالَ: قالَ رسُولُ اللهِ (صلم): «يا أبا هُريرةَ: عَدلُ سَاعةٍ خَيرٌ مِن عِبادةِ سِتِّينَ سَنَةً، قِيام لَيلِها وصِيام نهارِهَا»، وفي رواية: «عَدلُ يومٍ واحِدٍ أفضَلُ مِن عِبادةِ سِتينَ سَنَةً»، والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة.

وقدْ أحَاطَ بها عُلومُ الحضْرةِ الشَّريفةِ، وسُطِّرَ في الصَّحائفِ المطهَّرةِ المبرورَةِ، لكنْ قَالَ الله تعالى:﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٥٧]. ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾[٥٨].

وقَد جَعلْتُ خِتامَ هذِه الصَّحيفةِ مِسْكًا، ونظَمتُ لهُ بجواهِرِ المفَاخرِ سلكًا؛ فختمتُ كما بدأتُ بذكرِ أعظمِ سَلاطين الزَّمانِ الخَافِضِ لكلمةِ الكُفْرِ، والرَّافعِ لكلمةِ الإيمانِ، عالمِ السَّلاطين، وسُلطانِ العُلماءِ، ذي الحضْرةِ العُظْمى التي تتصاغر إليه أكَابِرُ العظَماءِ، إمَامُنا الذي جعَله الله تعَالى قِبلة المطْلوب.

وأجزأنا من التَّوجه إلى شطْرِه على أجمَلِ أُسْلوب، سيدُ سَلاطين العَجَمِ والعَرب، المانحُ من تسْهيلِ الفَوائدِ مَا هو أحْلَى من ارتِشَافِ الضَّرب الذي هو البَحْرُ تحدّثُ الألسُنُ عن محاسِنه بالعجَائب، ولا حَرجَ، ويلُوذُ بهِ من نَالتْه شِدَّة الافتقَارِ؛ فيدخلُ دارَ السَّعادةِ من بَابِ الفَرجِ: [بحر الطَّويل]

لَهُ دَولةٌ أسْمَى لهَا اللهُ في الورَى ... مَكانًا وأعْلاهَا مقَامًا وأعْلاهَا

لقدْ أعْربَتْ عن سِيرةٍ عُمَريَّةٍ ... عَلى العَدْلِ والإحْسَانِ أصْبحَ مَبْنَاهَا
لهَا شَرفٌ بَاهِي السَّنا وفضَائلٌ ... أرَى المِسْكَ يُطْوى نَشْرُه عِنْد ريَّاها
وأخْبارُ عَدْلٍ أبْدَعَتْ في طِبَاقِها ... فَكَم زَالَ حَرُّ الجَورِ مِن بَرْدِ ذِكْرَاهَا
فيا حبَّذا من سِيرةٍ جَلَّ ذكْرُها ... ودقَّ على الألْبَابِ إدراكُ مَعْنَاها

[٥٦] انظر الترغيب والترهيب: إسماعيل بن محمد بن الفضل الجوزي الأصبهاني، اعتنى به: أيمن بن صالح بن شعبان، دار الحديث، ط١، القاهرة، (د.ت)، حديث رقم ٢١٧٩، ٢١٨٠.

[٥٧] سورة الذاريات، آية ٥٥.

[٥٨] سورة الأنبياء، آية ١٠٦.

ألا وهي سيرةُ مَولانا أميرِ المؤمنين، وحَامِي حَوزة الدِّين، الواثق بِالله/٣ظ/ المُسْتَعان، نَاصِرِ الدُّنيا والدِّين، ونظَامِهما على التَّعيين: أبي الفَتْحِ عَبدِ الحميدِ خَان – جَعلَ الله تعالى أعتَابَهُ الشَّريفةَ قِبْلَةَ القبَلِ وانعامه المُنيفة مَصَادِر الجودِ ومَواردَ الأمَلِ، وجمَّلَ الوجُودَ ببقَاءِ دَولته العَادِلة وأيَّامِه، وقَرنَ سَعْيه الشَّريفَ بِالظَّفرِ في مبدإٍ كُلِّ أمْرٍ وخِتَامِه، بمنِّه وكَرَمِه.

وقدْ أجزتُ مَولانا السُّلطانَ المشارَ إليه – نظَرَ اللهُ بعينِ عِنايتِه إليهِ، وخلَّدَ جَزيلَ نِعَمِهِ عليهِ –أنْ يَرْوِي عنِّي هذا الحديثَ المسلسَلَ بالأوليّةِ، وسَائرَ ما يجوزُ لي، وعنِّي روايتُه أو تصحُّ دِرايتُه.

ومن جُملةِ ذلك: الكُتبُ السِّتةُ الصِّحاحُ التي هي: صَحِيحُ البُخَارِي، ومُسلِم، وسُنن أبي دَاود، والتِّرمذِي، والنَّسَائي، وابن ماجة بشَرطِه المعتَبرِ عند أهلِ الأثر مُلتمسًا منْهُ الدُّعاء بظَهرِ الغَيبِ والابتِهالَ بهِ إلى عَالمِ الغَيبِ؛ فإنَّ دعاءَ مَولانا السُّلطان مُسْتجابٌ بلا ريبٍ، إذْ هو قُطْبُ هذا العَالمِ، وسِرُّ غَيبِ الغَيبِ، أنار اللهُ برهانَه، وأعَانَهُ بالتَّوفيق لمصَالحِ الأمَّةِ، ونصرَ أعْوانَه، إنَّهُ بالإجَابةِ جَديرٌ، وعلى ما يشَاءُ قَدِيرٌ.

قَالَهُ بفمِه الفقِيرُ إلى مَولاه، الشَّاكرُ على ما أولاه، أبو الفَيضِ مُحمَّد مُرتضَى الحُسَينيّ الحنَفيّ، خَادِمُ عِلْمِ الحَدِيثِ بمصْر، غَفرَ اللهُ زَلَلَه وأصْلحَ خَللَهُ، وتَقبَّلَ عَملَه، وبلغَه أهلَه، في عَاشرِ شوَّالٍ سنة ١١٩٣هـ، أحْسنَ اللهُ تمامَها وأسْعدَ عَامَها، وقَدَّرَ في خَير خِتَامها، حَامدًا لله، وحْدَه ومُصلِّيًا على نَبيِّه، وآلهِ، وصَحْبهِ أجْمَعين، وحسْبُنا الله ونعْمَ الوكِيل، والحمدُ لله الذي دلَّ على الخيرات.

***

ثبت المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

١. أبجد العلوم: صديق بن حسن القنوجي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

٢. الإجازات والتوقيعات المخطوطة في العلوم النقلية والعقلية من القرن ٤هـ/١٠م إلى ١٠هـ/١٦م: نشر بتحقيق: د. أحمد رمضان أحمد – وتقديم د. أحمد قدري، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية – مشروع المئة كتاب، القاهرة، ١٩٨٦م.

٣. الأدب العربي في العصرين المملوكي والعثماني: د. قصي الحسين، المؤسسة الحديثة للكتاب ناشرون، طرابلس، لبنان، ٢٠٠٦م.

٤. الأدب المصري في العصر العثماني: محمد سيد كيلاني، دار الفرجاني، القاهرة، (د.ت).

٥. الأعلام: خير الدِّين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.

٦. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: محمد بن علي الشَّوكاني، تحقيق: محمد حسن حلاق، دار بن كثير، دمشق – وبيروت، ط١، ٢٠٠٦م.

٧. تاج العروس: محمد مرتضى الزَّبيدي، تحقيق: عبد الستار فراج – وآخرون، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٦٥م.

٨. تاريخ آداب اللغة العربية: جورجي زيدان، مراجعة وتعليق: شوقي ضيف، دار الهلال، القاهرة، (د.ت).

٩. تاريخ الأدب العربي: بروكلمان، ترجمة: عمر صابر عبد الجليل– وإشراف: د. محمود فهمي حجازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م.

١٠. تاريخ الدولة العلية العثمانيَّة: محمد فريد بك، تحقيق: د. إحسان حِقِي، دار النفائس، ط١، بيروت، ١٩٨١م.

١١. الترغيب والترهيب: إسماعيل بن محمد بن الفضل الجوزي الأصبهاني، اعتنى به: أيمن بن صالح بن شعبان، دار الحديث، القاهرة، ط١، (د.ت).

١٢. التقييد لمعرفة الرواة والسنن والأسانيد: ابن نقطة الحنبلي البغدادي، طبعة حيدر آباد الدَّكن، الهند، ط١، ١٩٨٣م.

١٣. تهذيب الأسماء واللغات: أبو زكريا محيي الدين بن شرف النَّووي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت).

١٤. طبقات الشافعية الكبرى: عبد الوهَّاب السبكي، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو- محمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د.ت).
١٥. الثُّقات: محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي، تحت مراقبة: د. محمد عبد المعيد خان، طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ١٩٧٣م.
١٦. الجرح والتعديل: لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ١٩٥٣م.
١٧. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرازق البيطار، تحقيق: محمد بهجت البيطار، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.
١٨. الخطط التوفيقية: علي مبارك، طبعة بولاق، مصر، ١٨٨٧م.
١٩. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ابن حجر العسقلاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).
٢٠. الدولة العثمانية عوامل وأسباب السقوط: د. علي محمد الصلابي، دار التوزيع والنشر الإسلاميَّة، القاهرة، ط١، سنة ٢٠٠١م.
٢١. الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث: د. إسماعيل أحمد ياغي، مكتبة العبيكان، ط٢، السعودية، ١٩٩٨م.
٢٢. ديوان ابن الرومي، شرح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط٣، ٢٠٠٢م.
٢٣. ديوان أبي العتاهيَّة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٦م.
٢٤. سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط- ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.
٢٥. شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط-ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
٢٦. الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح: إبراهيم بن موسى بن أيوب الأبناسي، تحقيق: صلاح فتحي هلل، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٩٩٨م.
٢٧. صبح الأعشى: أبو العباس أحمد القلقشندي، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٩م، (د.ت).
٢٨. الضَّوء اللامع: محمد عبد الرحمن السَّخاوي، دار الجيل، بيروت، (د.ت).
٢٩. عجائب الآثار: عبد الرحمن الجبرتي، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م.

٣٠. عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، في النثر الفني: د. محمود رزق سليم، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٥٥م.
٣١. فهرس الفهارس: عبد الحي الكتاني، باعتناء: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.
٣٢. لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، (د.ت).
٣٣. المعجم المختص: محمد مرتضى الزَّبيدي: تحقيق/ محمد عدنان البخيت، ونوفان رجا السواريه، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١، ٢٠١٠م.
٣٤. المقَّري صاحب نفح الطيب: محمد عبد الغني حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة، سلسلة أعلام العرب، القاهرة، ١٩٦٦م.
٣٥. المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي: يوسف بن تغرى بردي الأتابكي، حققه ووضع حواشيه: د. محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م.
٣٦. موسوعة الحديث الشريف: جمعية المكنز الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٩م.
٣٧. النور الأبهر في طبقات الجامع الأزهر: محيي الدين الطعمي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
٣٨. همع الهوامع: عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، (د.ت)، القاهرة.
٣٩. الوافي بالوفيَّات: صلاح الدين بن خليل بن أيبك الصَّفدي، تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط– وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

***